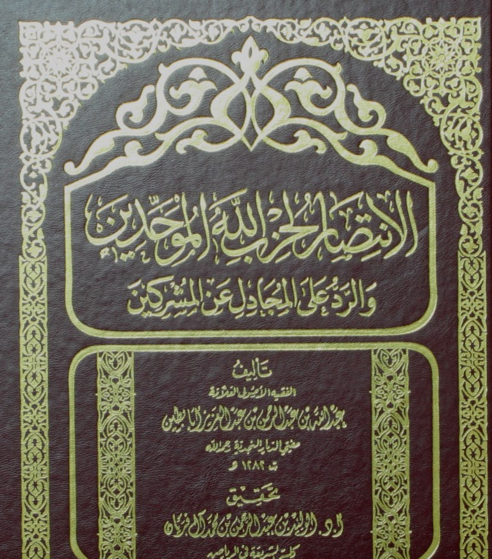
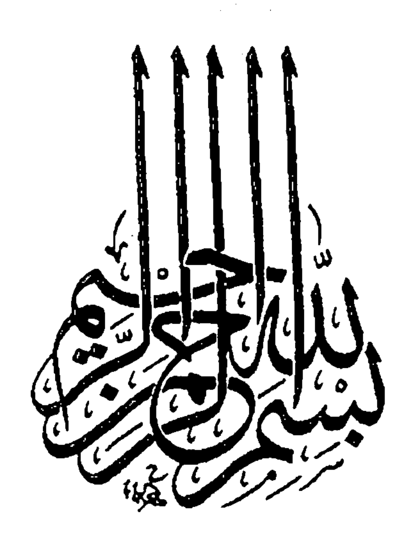

الانتصار لحزب الله الموحدين
والرد على المجادل عن المشركين
تأليف
عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز أبا بطين
مفتي الديار النجدية رحمه الله
ت ١٢٨٢ هـ
تحقيق
أ.د. الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان

الانتصار لحزب الله الموحدين

والرد على المجادل عن المشركين


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

واكب النضالَ المسلحَ في الجزيرة العربية إبَّانَ تطهيرِها من فُلولِ الهمجِيَّة في العِقْد الرابع من القرن الثالث عشر ، كفاحٌ فكريٌّ متحفزٌ قاده علماء البلاد ورجال الدعوة السلفية .

بعد أن عمِل الغُزاةُ على تلويث عقول الجَهَلة والعوام ، واستماتوا في دفعهم عن المنهج الإسلاميِّ الأصيلِ بكل ما يملكون من فُنون المكر والدَّجَل والتضليل .

آملين أن يُخمِدوا جَذْوَةَ التَّحرُّرِ ، أو يفلحوا في تحجيم الدين الإسلامي ، وإلباس الناس ثوب العلمانية الكافر .

واتخذوا من نشر البدع والإغراق في الشعوذة والتخريف الصوفي ، سبيلًا لذلك . لكنها لم تجد في قلوب العقلاء متَّسعًا ، ولا في عقولهم تصديقًا أو قبولًا ، فارتدوا على أعقابهم أوفر الخلق خيبة وخسارة .

واستطاع الإمام تركي بن عبد اللّٰه بن محمد بن سعود (ت١٢٤٩) بفضل اللّٰه ثم بفضل إيمانه العميق وحِنكته وشجاعتِه ، وصبرِه ، وبفضل الرجال الأبرار المخلصين أن يدفع باطلهم ، ويُخلِّص بلاده من رجسهم وأضاليلهم .

وتمكن في سنواتٍ قليلةٍ من طرد المُعتدِي الآثم مجلّلًا بالخِزي والعار، وأن يوحِّد الجزيرةَ العربية في نظامٍ سياسيٍّ مُتميزٍ تحكُمه شريعة اللَّه وتسودُه روح المحبة والوئام.

وكان للعلماء من أبناء الدعوة الدورُ البارز في بناء صرْحِ الدولة، وإرساء نظامِها والذود عن مكتسباتها، منذ انطلاق شرارة التوحيد والإصلاح[1].

في تلاحم فريد: شعارُه الحبُّ في اللَّه، ودِثَارُهُ الاحترامُ المتبادلُ والسَّعيُ الحثيثُ في إعلاء كلمةِ اللَّه، ونشرِ الأمن وتخليصِ عقول الناس وأبدانهم من رِقِّ عبودية الخلق إلى عبودية الخالق وحده لا شريك له.

وهذه المنظومة الرائعة التي رافقت الدعوة منذ بزوغ نجمها المتألِّق، ومنذ ميثاق الدَّرْعِيَّة الذي بُنِيَ على أساسٍ من نظرةِ الإسلام الشموليةِ للسياسة بنوعيها الداخليِّ والخارجيِّ، والمستمدِّ من كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ وسيرةِ الصحابة والتابعين وخلفاءِ الإسلام.

---

(١) حفظ لنا التاريخ موقفًا نادرًا، دارت أحداثه بين كل من العالم المجاهد عبد الرحمن بن حسن والإمام تركي بن عبد اللَّه، يرويه الشيخ المعمر عبد العزيز بن مرشد عن أستاذه العلامة عبد اللَّه بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن. وذلك أنه بعد أن استطاع الشيخ عبد الرحمن الإفلات من المنفى بمصر، قصد مكة فحج، ثم عاد إلى نجد مع حجاج القصيم، واستقر بها. فلما علم الإمام تركي بعودته بعث إليه يطلب منه القدوم إلى الرياض، ولم يستجب لطلبه، حتى تأكد من أنه ما قام إلا من أجل إقامة شرع اللَّه وإحياء دينه، وحماية الدعوة المهيضة فوضع يده في يد الإمام تركي، وجدَّدا ما اندثر من التحالف العتيد بين الدعوة والدولة.

كانت هي السياجَ المنيعَ والدرعَ الذي تحطَّمَ عليه الطغيانُ والظلم والاستبدادُ، وانهارت أمامه المطامعُ الشخصية وشهوةُ التفرد.

واستمر موكِبُ الدعوة والدولة تحوطُهِ المحبةُ وتظلِّلُه الرحمةُ وتسيِّره المبادئ، ويقوده العدل والإنصاف، دون أن يُسمحَ لواشٍ أو كاذبٍ مفتونٍ أن يتسلل إلى صفائه ليعكره، أو طريقه ليعطِّلَه ويصرفه عن وجهته التي يحبها اللَّه ورسوله وأهلُ الإيمان والفضيلة والغيرة والشرف.

● موضوع الكتاب:

هذا السِّفرُ حلْقةٌ من حلْقات الجهاد العبِق، وصفحةٌ من صفحاته النيرة، اضطلع به رجال الدعوة وأبلوا فيه بلاءً حسنًا منذ أن تعرضوا لأول كيد ووصلت إليهم طلائع الانحرافِ والتحجُّرِ. فقيَّضهم اللهُ منافحين محتسبين حتى رَدُّوا كيدَهم وكشفوا عَوَارَ أقوالهم، وفضحوا مُؤامراتِهم.

والشيخُ عبد اللَّه بن عبد الرحمن أبا بُطين، واجه كغيره من علماء تلك الفترة الحَرِجة، بعضَ الوجوه الكالحة التي استمرأت البدعةَ، وعَشْعَشَ الانحرافُ في قلوبهم وعقولهم، فأصبحوا أسارى التخلُّف والتبعية.

فقام رَحِمَهُ اللَّهُ بواجبه، وأدى حقَّ العلم الذي ائتُمن عليه هو وإخوانُه من أهل العلم والإيمان.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا، يحكي بصدقٍ جانبًا من جهاده.

وقد استهلَّه بمقدمةٍ ضافيةٍ، بيَّن فيها الغاية من الخلق ومعنى العبودية ومقتضياتها، ومعنى كلمة التوحيد الخالدة.

وأوضح ضلالَ وتناقضَ من قال بأن كلمة لا إله إلا اللَّه ترفع الحرج حتى وإن ارتكب الشرك وعبد غير اللَّه.

وأشار إلى أن من كيد الشيطان للمبتدعة سلْبُ العبادة والشرك اسمهما من قلوبهم، حتى اختلطت عليهم المفاهيم، وساعدهم على ذلك بعض المُغرضين.

ثم عقد فصلًا ذكر فيه بعض الشبه التي تعلقوا بها، وبيَّن أن مرتكب الشرك الأكبر ليس معذورًا لجهله؛ وإلا للزم عليه أنه ليس لله حجةٌ على أحدٍ إلا المعاند.

وأفاض في تأكيد هذا الأصل العظيم، وأنَّ حجةَ اللَّه قائمةٌ على الناس بإرسال الرسلِ، وإن لم يفهموا حججَ اللَّه وبيِّناتِه، ففرقٌ بين فهم الحجة وقيام الحجة. وعقد فصلًا آخر أبان فيه عن أهمية معرفة حدود ما أنزل اللَّه على رسوله، لاسيما حدود ما أنزله في الأسماء.

وأنَّ منبعَ الضلال: الغلطُ في معرفة حقيقةِ الشركِ الأكبرِ. وتعرَّضَ لبعض دعاوِيهِم فأبطلها.

ثم عقد فصلًا ثالثًا: وسَّع الحديثَ فيه عن الجناية المترتبة على عدم فهم حدود ما أنزل اللَّه، وأن دعوى أن الشركَ هو الصلاةُ والسجود لغير اللَّه فقط، مجردُ مكابرةٍ مكشوفةٍ.

وفي الفصل الرابع: نافح عن شيخ الإسلام، وردَّ فيه تزويرَ وكذبَ الكاذبين بأنه يرى أن المتأولَ والمجتهدَ المخطئَ والمقلدَ مغفورٌ لهم ما

ارتكبوه من الشرك والكفر .

ونعى بمرارةٍ ما يفعله بعضُ علماء زمانه من تجويز الممارسات الشركية ومباركتها ، وتعجَّبَ من إنكار بعض اليهود لما يرونه عند هذه المشاهد ، مع إصرارِ مَنْ ينتسب إلى الإسلام عليها .

وبيَّن في أثناء هذا الفصل : أنه لا يجوزُ للمسلم أن يحكم بكفر أحدٍ حتى يَثبتَ في حقه شروطُ التكفير وتنتفي موانعُه .

وأنحى بعد ذلك باللائمة على من سهَّل للمشركين ما ارتكبوه ، وجادل عنهم بالباطل ، وأن هذا منتهى الجهل والظلم ، وعقَّبه بحكم الذبح لغير اللَّه والاستغاثة به ، ثم عقد فصلًا خامسًا : فرَّق فيه بين الكرامة وبين الأحوال الشيطانية وهَوَسِ الصوفية .

وختم كتابه بفصلٍ سادسٍ توجَّه فيه إلى المنتسبين للعلم ، بأنَّ عليهم أن يتجردوا عن الجهل والتعصب ، ويكونَ مرجعُهم كتابَ اللَّه وسنةَ رسوله ، دون العوائدِ واستحساناتِ الناس ، ولا يستوحشوا من قلةِ السالكين ، فإنَّ أهلَ الحق هم القلةُ دائمًا .

● **أهمية الكتاب :**

يأتي هذا البحث ليعالج أعمق القضايا المتعلقة بتوحيد الألوهية ، الذي هو أعظمُ أنواع التوحيد قاطبةً وأجدرُها بالعناية والاهتمام ، وليفضحَ ما تبقى من شبهِ المضلِّلين المتداعية ، وهي لا تعدو أن تكون زوابعَ عابرةً قوامُها التعنتُ والاستكبارُ ، ومحرِّكُها المنافعُ الشخصيةُ

الدنيئةُ، ويمكن تلخيص تلك الترهاتِ فيما يلي:

١ - أنَّا لسنا مكلَّفين بالناس والقولِ فيهم.

٢ - من قال: لا إله إلا اللَّه، ما نقول فيه شيئًا وإن فعل ما فعل.

٣ - قول ابن تيمية: أنَّ المتأولَ والمجتهدَ المخطئَ والمقلدَ، مغفورٌ لهم ما ارتكبوه من الشرك والكفر.

٤ - قصة الذي أوصى أهله أن يُحرِّقوه بعد موته، فجهل أن فعلَه كفرٌ فلم يكفرْ.

٥ - أنَّ طلبَ الأمواتِ ليس دعاءً بل هو نداء.

وأنت ترى أنها ما بين دعوةٍ إلى العجز والتواكل، وبين سوء فهمٍ وكذبٍ بيِّن.

ولكن كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

❊ ❊ ❊

المؤلف

* نسبه ومولده:

هو العلامة الفقيه الأصولي أبو عبد الرحمن، عبد اللَّه بن عبد الرحمن ابن عبد العزيز أبا بطين من آل خميس من عائذ. ولد في بلدة الروضة القريبة من المجمعة حاضرة إقليم سُدير في منطقة نجد سنة ١١٩٤، أي قبل وفاة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب باثنتي عشرة سنة.

* أسرته:

نشأ في أحضان أسرة صالحة محافظة، وجهته منذ نعومته وطراوة عوده إلى طلب العلم وتحصيله وملازمة العلماء، حتى أدرك علمًا واسعًا وهو بعدُ في ريعان الشباب، وساعده على ذلك قوة الذهن وسرعة الفهم والفطرة النقية.

* شيوخه:

قرأ على العديد من علماء عصره ومن أبرزهم:

١ - الشيخ الجليل عبد اللَّه بن محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٤٢).

٢ - الشيخ الفاضل عبد العزيز بن عبد اللَّه الحُصيِّن (ت١٢٣٧).

٣ - الشيخ العلامة حمد بن ناصر بن مُعمَّر (ت١٢٢٥).

• أعماله:

وليَ القضاءَ في عهد سعود بن عبد العزيز بن محمد (ت١٢٢٩) ثم نقله عبد اللَّه بن سعود (ت١٢٣٤) قاضيًا على عمان.

وفي عهد الإمام تركي ولاه قضاء الوشم، ثم جمع له معه قضاء سُدير، وفي عام ١٢٤٨هـ انتقل إلى قضاء القصيم، حتى استقال من القضاء سنة (١٢٧٠).

• تلاميذه:

لم تُشغله أعمالُه الوظيفيَّةُ عن التعليم والدعوة، وهذا هو شأن العلماء حيثما حَلُّوا وأينما سارت بهم الرِّكاب. يبذُرون في كل بلدٍ وطِئتْه أقدامُهم طُلَّابا يحملون العلم ويبلِّغونه لمن بعدهم. ومن تلاميذه:

١ - صالح بن عيسى.

٢ - عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن أبا بطين، ابن المؤلف.

٣ - محمد بن عبد اللَّه بن حميد.

٤ - عثمان بن بشر صاحب التأريخ المشهور.

• أخلاقه وسجاياه:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ زاهدًا ورعًا مُكِبًّا على العلم، مُعرِضا عما سوى ذلك، وقورًا دائمَ الصَّمتِ، باذِلًا نفسَه للعلم والعلماء دون مللٍ أو تضجُّرٍ، كريمًا سخيًّا قويًّا في الحق.

◉ وفاته وأبناؤه:

استمر رَحِمَهُ اللَّهُ طوال حياته داعيًا ناصحًا ملتزمًا، إلى أن توفي سنة ١٢٨٢[(١)] فانطوت بوفاته صفحةٌ تنضح بالصَّلاحِ والتقوى والكرم.

وخلَّف من الأبناء الشيخَ عبدَ الرحمن وعبدَ العزيز، ولكليهما عَقِبٌ.

◉ آثاره العلمية:

شاركَ في الكثير من العلوم وألَّف فيها، ومن آثارِه:

١ - مختصر بدائع الفوائد[(٢)].

٢ - حاشية على شرح المنتهى في الفقه.

٣ - تأسيس التقديس[(٣)]

٤ - الانتصار وهو كتابنا هذا.

٥ - مختصر في علم أصول الفقه، مطبوع بتحقيق المحقق عام ١٤٣١هـ.

٦- رسالة في التجويد.

٧ - فتاوى وتحريرات نشر أكثرها[(٤)].

---

(١) في هدية العارفين للبغدادي ٥/ ٤٩١: مات سنة ١٢٨١ هـ.

(٢) له نسخة بخط المؤلف عند آل مانع كما ذكر ابن بسام ٢/ ٥٧٤.

(٣) مطبوع سنة ١٣٤٤ ورأيت له نسخة خطية جيدة في مكتبة الرياض السعودية رقم ٤١١/ ٨٦ في نحو سبع وثمانين ورقة بعنوان: كشف تلبيس داود بن جرجيس الكذاب الأفاك الداعي إلى الإشراك بباريء كل محسوس!.

(٤) ينظر في مصادر ترجمته: البغدادي «هدية العارفين» ٥/ ٤٩١، وابن القاسم: «الدرر=

● **النسخ :**

تجمَّع لديَّ عند الشروع في التحقيق ثلاثُ نسخٍ ، وهي كما يلي :

الأولى : نسخة خطية تقع في نحو تسع عشرة ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرًا محفوظة في مكتبة الرياض السعودية بدون رقم .

فرغ من كتابتها عبد اللَّه بن فارس بن ناصر بن فارس بن إبراهيم آل سميح سنة ١٢٧٨يوم الأربعاء من شهر شوال ، وعلق على طرَّتها ما نصه : «مال زيد بن محمد آل سليمان » . وهي نسخة تامة مصحَّحَة ومقابَلة ومكتوبة في حياة المؤلف ولذلك جعلتها أصلًا .

الثانية : وتقع في نحو إحدى وعشرين ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرًا ، مكتوبة بقلم نسخيٍّ جيِّد مشكولٍ أحيانًا ، ليس عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ . ويبدو أنها كانت ضمن مجموعة إذ إنّ الورقة الأولى تبدأ برقم ٧٨ ، وقد أمدني الأخ الكريم الشيخ عبد السلام العبد الكريم بمصورتها ورمزت لها بحرف (ع) .

الثالثة : مطبوعة نشرتها دار العربية للطباعة ببيروت ، بعناية الشيخ عبد الملك بن إبراهيم ، عن نسخة كتبها محمد بن عبد العزيز بن محمد سنة ١٣٠٥ ، يوم السبت ٢٤ من ذي الحجة ، كما هو مدونٌ في آخر الرسالة . وفيها نقص وتحريف ورمزت لها بحرف (ط) .

= السنية» ١٢/ ٧٥ ، و«مشاهير علماء نجد» ١٧٦ ، و«علماء نجد خلال ستة قرون» ٢/ ٥٦٧.

◎ العنوان:

سُجل على طُرَّة الأصل، وغلاف المطبوعة: «كتاب الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين».

وفي نسخة (ع): «كتاب الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على من يجادل عن المشركين». وهو فرقٌ طفيفٌ لا يكاد يسترعي الانتباه.

ويذكر ابن بشر في عنوان المجد (القسم المخطوط) أن الذي سماه بذلك هو بعض طلبته[١] لا المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وليس هذا ببعيد؛ فلم يكن علماء الدعوة ممن كانوا في عصره يهتمون كثيرًا بوضع الأسماء لكتبهم.

◎ التوثيق:

نص ابن بشر في عنوان المجد (القسم المخطوط) أن الشيخ عبد الله ألف كتاب الانتصار من أجل أن يكشف عن فساد الشبهة التي أثارها تلميذه داود بن جرجيس البغدادي (ت١٢٩٩) ولبَّس بها على الناس.

ثم ألف كتابه الكبير «تأسيس التقديس» فتتبع فيه دعاويه وفنَّدها وأهال عليها الترابَ[٢]، كما نص عليه البغدادي في هدية العارفين[٣]، وذكره الشيخ ابن قاسم في الدرر السنية[٤].

---

(١) «علماء نجد خلال ستة قرون» ٢/ ٥٦٩.

(٢) ينظر المرجع السابق.

(٣) البغدادي في هدية العارفين ٥/ ٤٩١

(٤) «الدرر السنية» ١٢/ ٢٦.

• **منهج التحقيق :**

اعتمدتُ نسخةَ مكتبة الرياض السعودية أصلًا ؛ لجودتها وقدمها وعارضت النسختين الأُخرَيَيْن بها ، وأثبتُّ ما بينها من فروق .

ولم أتصرف في النص إلا بحسب ما تُمليه الضرورةُ من تعديل أو إضافة ، مع الإشارة إلى ذلك في موضعه .

وقمتُ بعزو الآيات وتخريج الأحاديث والآثار ، وردِّ النصوص إلى مصادرها ما استطعت إلى ذلك سبيلًا ، كما فسرت ما ظننتُه غامضًا وترجمتُ لغير المشهورين .

أسأل اللَّه تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يحفظ علينا ديننا ويجنبنا مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن .

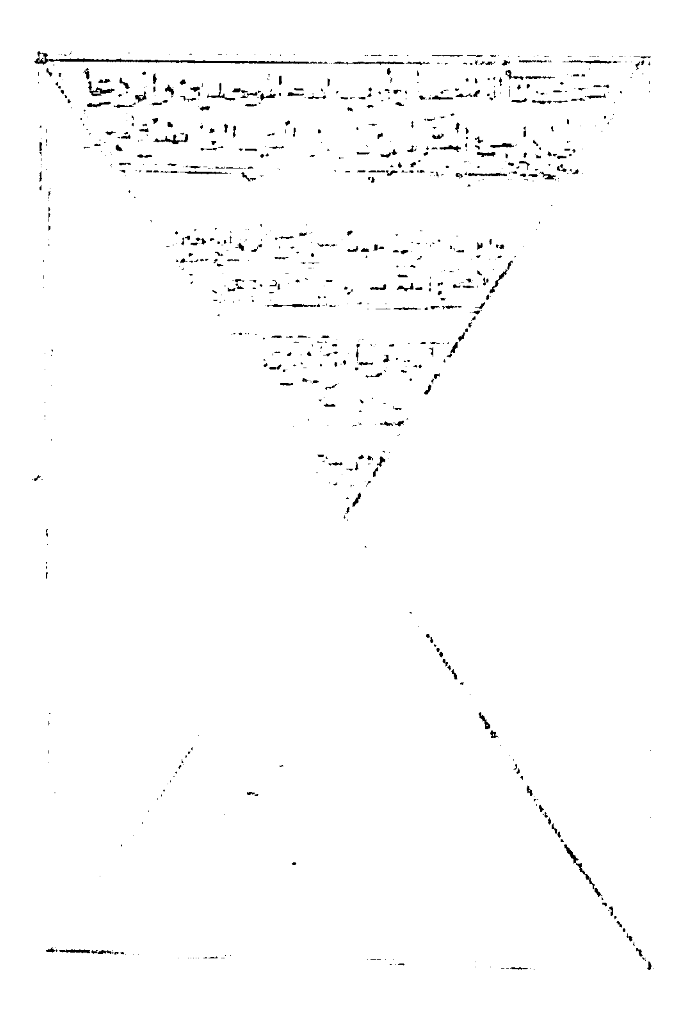
والحمد لله حمدًا كثيرًا كما يحب ربنا ويرضى .

كتبه

الوليد بن عبد الرحمن آل فريان

الرياض - ١٤٠٩/٤/٢٧هـ

نماذج الشيخ الخطية



طرَّةُ الأصل

الورقة الأخيرة من الأصل

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

الورقة الأولىٰ من (ع)

نص الكتاب

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ [1]

الحمدُ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفره ونتوبُ إليه[2]، ونعوذُ باللَّه من شرور أنفسنا[3] وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ﷺ تسليمًا كثيرًا.

● **أما بعد:**

الغاية من الخلق

فقد قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾[4] - فلمَّا أعلمنا اللَّه سبحانه إنَّما[5] خلَقنا لعبادته، وجب علينا الاعتناءُ بما خَلقنا له علمًا وعملًا -[6]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾[7] الآية وقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾[8].

---

(١) في الأصل زيادة ما نصه: وبه نستعين وعليه اعتمادي.

(٢) (ط): ونتوب إليه. ساقط.

(٣) (ع) (ط): ومن.

(٤) سورة الذاريات: آية ٥٦.

(٥) (ع) (ط): أنه إنما.

(٦) ما بينهما معلق في هامش الأصل، وعليه كلمة «صح».

(٧) سورة البقرة: آية ٢١.

(٨) سورة النساء: آية ٣٦.

معنى العبادة

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل ما في القرآنِ من الأمرِ بالعبادة فالمرادُ به التوحيدُ[١].

وبذلك أرسل[٢] اللَّه جميعَ الرسلِ. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[٤].

أول ما دعا إليه الرسلُ

وكلُّ رسولٍ أولُ ما يَقرعُ به أسماعَ قومِه أنْ يقولَ: اعبدوا اللَّهَ ما لكم من إلهٍ غيرُه.

معنى الطاغوت

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[٥] قال مالكٌ، وغيرُ واحدٍ من المفسرين: كلُّ ما عُبِد من دون اللَّه فهو طاغوت[٦]، وقال عمر بن الخطاب، وابن عباس رضي الله عنهم: الطاغوتُ

(١) ذكره البغوي في «التفسير» ١/ ٥٥.

(٢) (ع): أمر.

(٣) سورة الأنبياء: آية ٢٥.

(٤) سورة الزخرف: آية ٤٥.

(٥) سورة النحل: آية ٣٦.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» ٢/ ٢٢.

الشيطانُ[١].

قال ابن كثير: وهو قولٌ قويٌّ جدًّا، فإنه يتناولُ كلَّ[٢] ما كان عليه أهلُ الجاهلية من عبادة الأوثان، والتحاكمِ إليها، والاستنصارِ بها[٣]. ذكره على قوله: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾[٤] الآية.

قال النووي: قال الليثُ، وأبو عبيدة، والكسائيُّ، وجماهيرُ أهل اللغة: الطاغوتُ كل ما عُبد مَن دون الله[٥].

وقال الجوهري: الطاغوتُ الشيطانُ، وكلُّ رأسٍ في الضلالةِ. انتهى[٦].

معنى لا إله إلا الله

وما تضمَّنته هذه الآياتُ ونحوُها من آيِ القرآن - من الأمر بعبادة اللَّه وحده لا شريك له، والنهيِ عن عبادةِ غيره - هو معنى لا إله إلا اللَّه.

---

(١) علقه البخاري في «الصحيح» ٨/ ٢٥١(فتح) قال الحافظ: وإسناده قوي، وأخرجه الطبري في «التفسير» ٥٨٣٤، ٥٨٣٥، وأبو القاسم البغوي كما في «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٥٣، والفريابي، وسعيد بن منصور كما في «الدر المنثور» ٢ / ٢٢.

(٢) علق في هامش الأصل على هذه الكلمة ما نصه: كلما. إذا كانت ظرفا كتبت (ما) معها متصلة، نحو ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ﴾، وكلما جئتني أكرمتك. وإن كانت اسمًا كُتبت منفصلة نحو: كل ما عندي لك، وكل ما في الدنيا فانٍ.اهـ.

(٣) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم» ١/ ٥٥٣.

(٤) سورة البقرة: آية ٢٥٦.

(٥) النووي، «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» ٣/ ١٨.

(٦) الجوهري، «تاج اللغة وصحاح العربية» ٦/ ٢٤١٣.

معنى لفظ الجلالة

قال ابنُ جرير - في الكلام على معنى لفظ الجلالة - قال: وروي لنا، عن ابن عباس قال: أي هو ذو الألوهية والعُبودية(١) على خلقه أجمعين(٢).

وقال الجوهري في الصحاح: أَلَهَ - بالفتح - إلاهَةً، أي: عَبد عبادة.

قال: ومنه، قولنا: اللَّه. وأصله إلاهٌ على وزن فِعال، بمعنى مفعُول؛ لأنه مألوه بمعنى معبود(٣) قال: والتأليه التعبيد، والتألُّه التنسُّك والتعبُّد.

قال رؤبة(٤): سبَّحْنَ واسترجَعْنَ من تألهي(٥)(٦). انتهى(٧).

وقال في القاموس: أَلَه إلاهةً وألوهةً وألوهيَّةً: عبدَ [٢/أ] عبادةً، ومنه لفظ الجلالة، قال: وأصله إله، بمعنى مألوه، وكلُّ ما اتُّخِذَ معبودًا، إلهٌ(٨) عند مُتَّخِذِهِ. قال: والتأله التنسك والتعبد(٩).

---

(١) في «تفسير» الطبري والسيوطي: المعبودية.

(٢) أخرجه الطبري في «التفسير» رقم ١٤١، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» ١/ ٢٣ وفيه بشر بن عمارة.

(٣) الجوهري، «الصحاح» ٦/ ٢٢٢٣.

(٤) علق في هامش الأصل ما نصه: رؤبة هو ابن العجاج التميمي الراجز من فصحاء العرب (البصرة) أخذ عن أبيه وغيره، وعنه أخذ يحيى القطان وطائفة كثيرة، وكان لغويًا علامة وقته، توفي سنة خمس وأربعين ومائة من هجرة الرسول اهـ.

(٥) علق في هامش الأصل: صدره: لله در الغانيات المدَّه.

(٦) رؤبة، «الديوان»/ ١٦٥.

(٧) الجوهري، «الصحاح» ٦/ ٢٢٢٤.

(٨) (ع) (ط): فهو إله.

(٩) الفيروز آبادي، «القاموس» ٤/ ٢٨٠.

وفي المصباح: ألَه- من باب تعِب - إلهةً بمعنى عبد عبادة، وتأله تعبد، والإله المعبود وهو اللَّه سبحانه. استعاره المشركون لِمَا عبدوه من دون اللَّه. انتهى[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الإله هو المعبود المطاع، فهو إلهٌ بمعنى مألوه[٢].

وقال ابن القيم: الإله هو الذي تأْلَهُهُ القلوبُ محبةً وإجلالًا، وإنابةً وإكرامًا، وتعظيمًا وخوفًا، ورجاء وتوكلًا[٣].

وقال ابن رجب: الإله: هو الذي يُطاع فلا يُعصى، هيبةً له وإجلالًا ومحبة، وخوفًا ورجاء وتوكلًا عليه، وسؤالًا منه ودعاء له، ولا يصلُحُ ذلك إلا لله، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قَدْحًا في إخلاصه - في قول[٤]: لا إله إلا الله-، ونقصًا في توحيده، وكان فيه من عبوديةِ المخلوق بِحَسْبِ ما فيه من ذلك، وهذا كلُّه من فروعِ الشركِ[٥].

---

(١) المقري، «المصباح المنير» ١/ ٢٤.

(٢) ابن تيمية، « مجموع الفتاوى » ١٣/ ٢٠٢

(٣) ابن القيم، « إغاثة اللهفان » ١/ ٣٦

(٤) (ط): قول. ساقطة.

(٥) كلمة الإخلاص للحافظ بن رجب / ٢٣.

مقتضيات كلمةِ التوحيد

وقال ابن هُبيرة في الإفصاح: قولُه: شهادة أن لا إله إلا اللَّه تقتضي أن يكون الشاهدُ عالمًا بأن لا إله إلا اللَّه، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] وينبغي أن يكون الناطقُ بها شاهدا فيها، فقد قال اللَّه تعالى - ما أوضح به - أنَّ الشاهدَ بالحقِّ إذا لم يكن عالمًا بما شهِد به، فإنه غيرُ بالغٍ من الصدق به مع من شهد لك[2] بما يعلمه في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[3].

قال: واسم اللَّه: مرتفعٌ بعد إلَّا، من حيث أنه الواجبُ له الإلهيةُ، فلا يستحقها غيرُه سبحانه.

قال: واقتضى الإقرارُ بها أن تعلمَ أنَّ كلَّ ما فيه أمارةٌ للحدث فإنه لا يكون إلهًا، فإذا قلت: لا إله إلا اللَّه. اشتمل نطْقُك هذا على أن ما سِوى اللَّه ليس بإلهٍ، فيلزمُك إفرادُه سبحانه بذلك وحده.

قال: وجُملةُ الفائدةِ في ذلك: أنْ تعلمَ أنَّ هذه الكلمة هي مشتملةٌ على الكفرِ بالطاغوتِ والإيمانِ باللهِ، فإنك لمَّا نفيتَ الإلهيةَ، وأثبتَّ الإيجابَ لله كنت مِمَّنْ كفَر بالطاغوت وآمن باللَّه. انتهى[4].

---

(١) سورة محمد: آية ١٩.

(٢) (ع): لك. ساقطة.

(٣) سورة الزخرف: آية ٨٦.

(٤) نقله العلامة عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد» ١/ ١٢٢ - ١٢٣.

وقال أبو عبد لله القرطبي في التفسير: لا إله إلا هو. أي: لا معبودَ إلا هو[١].

وقال الزَّمَخْشَرِيُّ[٢]: الإلهُ من أسماء الأجناس كالرجل والفَرَسِ، اسمٌ[٣] يقع على كل معبودٍ بحقٍّ أو باطلٍ، ثم غلب على المعبود بحق[٤].

وقال البقاعيُّ [٢/ب]: لا إله إلا اللَّه؛ أي: انتفى انتفاءً عظيمًا أن يكون معبودٌ[٥] بحقٍّ غيرَ الملك الأعظم؛ فإن هذا العِلمَ هو أعظم الذكرى المُنْجِيةِ من أهوال الساعة، وإنما يكون علمًا إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعًا إذا كان مع الإذعانِ والعملِ بما تقتضيه، وإلا فهو جهلٌ صِرْفٌ. انتهى[٦].

موقفُ المشركين من كلمة التوحيد

وجميعُ المفسرين يفسرون الإلهَ بالمعبودِ. والمشركون يعرفون ذلك؛ لأنهم أهلُ اللسان. فلمَّا طلب منهم النبي ﷺ أن يقولوا: لا إله إلا اللَّه. قالوا: أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إنَّ هذا لشيءٌ عُجاب[٧].

---

(١) القرطبي، «أحكام القرآن» ١/ ١٥٩. أي: لا يُعبد بحق إلا هو.

(٢) أبو القاسم جار اللَّه محمود بن عمر الزمخشري. لغوي من كبار المعتزلة ت ٥٣٨. «اللسان»٦/ ٤.

(٣) (ط): اسم. ساقطة.

(٤) الزمخشري، «الكشاف» ١/ ٣٦.

(٥) الأصل و(ط): معبودا.

(٦) نقله الشيخ عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد» ١/ ١٣٦.

(٧) حكى اللَّه ذلك عنهم في سورة ﴿صٓ﴾: آية ٥.

وهم يعترفون بأن اللَّهَ هو الخالقُ الرازقُ المدبرُ لجميع الأمور، ربُّ كل شيء ومليكُه؛ كما أخبر اللَّه عنهم بذلك في مواضعَ كثيرةٍ من كتابه.

فَرضِيَّةُ العلمِ بمعناها

واللَّه سبحانه فرَضَ على عباده معرفةَ معنى: لا إله إلا اللَّه، وأن يعلموا أن لا إله إلا هو[1]. قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

وترجم البخاريُّ على الآية فقال: بابٌ العلمُ قبل القول والعمل[2].

أشار[3] إلى أنَّ العِلمَ بمعنى: لا إله إلا اللَّه، أولُ واجبٍ. ثم بعد ذلك القولُ والعملُ.

وقال اللَّه تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[4] لم يقل: ليقولوا: إنما هو إلهٌ واحدٌ[5].

وقال: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[6] أي: واعلموا أن لا إله إلا هو.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ

---

(١) (ع): اللَّه.

(٢) صحيح البخاري ١/ ١٥٩ «فتح».

(٣) (ط) إشارة.

(٤) سورة إبراهيم: آية ٥٢.

(٥) ما بينهما ساقط من (ع) و(ط).

(٦) سورة هود: آية ١٤.

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾[1].

قال المفسرون: إلا من شهد بلا إله إلا اللَّه، وهم يعلمون بقلوبهم ما شَهِدوا به بألسنتهم[2].

وقد قال النبي[3] ﷺ: «**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا اللَّه دخل الجنة**»[4].

أولُ واجبٍ على الإنسان

واستدل العلماء بهذه الآيات ونحوِها: على أنَّ أولَّ واجبٍ على الإنسان معرفةُ اللَّه.

ودلت هذه الآيات[5]: على أن آكدَ الفرائضِ العلمُ بمعنى لا إله إلا اللَّه، وأن أعظمَ الجهلِ نقصُ العلمِ بمعناها؛ إذْ كان معرفةُ معناها آكدَ الواجبات، فالجهلُ[6] بذلك أعظمُ الجهل وأقبحُه.

---

(١) سورة الزخرف: آية ٨٦.

(٢) ينظر «تفسير الحافظ ابن كثير» ٧/ ٢٢٩، و«تفسير القرطبي»١٦/ ١٢٢.

(٣) النبي: ليست في (ع) و(ط).

(٤) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم ٢٦، وأحمد في «المسند»١/ ٦٥، ٦٩، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم ١١١٤، ١١١٥ وابن أبي شيبة في «المصنف» ٣/ ٢٣٨، والحاكم في «المستدرك»١/ ٣٥١، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٥) ما بينهما ساقط من (ع).

(٦) (ع): والجهل.

اعتراض

ومن العجبِ: أنَّ بعضَ الناس إذا سمع من يتكلم في معنى هذه الكلمة نفيًا وإثباتًا، عاب ذلك، وقال: لسنا مكلَّفين بالناس والقول فيهم!

الجواب

فيُقال له: بل أنتَ مكلَّفٌ بمعرفة التوحيد الذي خلق اللَّه الجن والإنس لأجله، وأرسل جميعَ الرُّسُلِ يدعون إليه، ومعرفةِ ضدِّه وهو الشركُ الذي لا يُغفرُ. ولا عُذرَ لمكلَّفٍ في الجهلِ بذلك.

التقليدُ في التوحيد

ولا يجوز فيه التقليدُ؛ لأنه أصلُ الأصول. فمن لم يعرف المعروفَ وينكر المنكرَ فهو هالكٌ، لاسيما أعظمَ المعروفِ [٣/أ] وهو التوحيدُ، وأكبرَ المنكرات وهو الشركُ.

قال رجلٌ لعبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه: هلكتُ إن لم آمرْ بالمعروف وأنْهَ عن المنكرِ! فقال ابن مسعود: هلكتَ إن لم يعرفْ قلبُك المعروفَ ويُنكِرِ المنكر[١].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٥/ ١٧٤، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ١٣٥ عن طارق بن شهاب قال: جاء عتريس ابن عرقوب الشيباني إلى عبد اللَّه، فذكره وهو عنده بلفظ: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر. قال: بل هلك من لم يعرف قلبه المعروف، وينكر قلبه المنكر.

وبمعرفة التوحيد يُعرفُ أهلُه؛ كما قال علي ﷺ: اعْرِف الحقَّ تعرِفْ أهلَهُ.

متى يصيرُ الإنسانُ مسلمًا

وأما الإقرارُ بتوحيدِ الرُّبوبيةِ: وهو أنَّ اللهَ سبحانه خالقُ كلِّ شيءٍ ومليكُه ومُدبِّرُه، فهذا يُقرُّ به المسلمُ والكافر، ولا بدَّ منه. لكن لا يصير به الإنسانُ مسلمًا، حتى يأتي بتوحيد الإلهية الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرارِ به المشركون، وبه يتميز المسلمُ عن الشركِ وأهلُ الجنة من أهل النار.

موقفُ المشركين من توحيدِ الربوبية

وقد أخبر سبحانه في مواضعَ من كتابه عن المشركين: أنهم يُقرُّون بتوحيد الربوبية. ويحتجُّ عليهم سبحانه بإقرارهم بتوحيد الربوبيةِ على إشراكهم في توحيد الإلهية، قال سبحانه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ الآية[١].

قال البكريُّ الشافعيُّ[٢] في تفسيره على هذه الآية:

(١) سورة يونس: الآيتان ٣١، ٣٢.

(٢) لم أجد في «طبقات المفسرين» أحدًا بهذا اللقب- وهو شافعي المذهب- غير اثنين=

إن[١] قلتَ: إذا أقروا بذلك فكيف عبدوا الأصنام؟ قلتُ: كلهم كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام، عبادةَ اللَّه والتقربَ إليه. لكن في طرُقٍ مختلفة:

ففرقةٌ قالت: ليس لنا أهْلِيَّةُ عبادةِ اللَّه بلا واسطة؛ لعظمته فعبدناها لتقربنا إليه زلفى.

وفرقةٌ قالت: الملائكةُ ذوو وجاهةٍ عند اللَّه، فاتخذنا[٢] أصنامًا على هيئة الملائكة لتقربنا إلى اللَّه زلفى.

وفرقةٌ[٣] قالت: جعلنا الأصنامَ قِبلةً لنا في العبادة؛ كما أن الكعبةَ قبلةٌ في عبادته.

وفرقةٌ اعتقدت: أن لكل صنمٍ شيطانًا موكَّلًا بأمر اللَّه، فمن عبد الصنم حقَّ عبادتِه قضى الشيطانُ حوائجَه بأمر اللَّه، وإلا أصابه شيطانُه بنكْبةٍ بأمر اللَّه[٤].

وقال ابنُ كثير عند قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ

= هما: محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي، من كبار المتكلمين، وأئمة الأشاعرة المخالفين لطريقة السلف ت٦٠٦، وعلي بن يعقوب بن جبريل، وهو ممن أنكر على شيخ الإسلام ابن تيمية لما دخل مصر وقام عليه وآذاه ت ٧٢٤ ينظر «طبقات المفسرين» للداوودي ١/ ٤٤٠، ٢/ ٢١٥.

(١) (ط): إذا.

(٢) الأصل: اتخذنا (ط): اتخذناها.

(٣) (ط): فرقة. ساقطة.

(٤) لم أعثر عليه في «مفاتيح الغيب» للرازي.

﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[1]: إنما يحملُهم على عبادتِهم؛ أنَّهم عمدوا إلى أصنامٍ[2] اتخذوها على صور الملائكة المقرَّبين في زعمهم، فعبدوا تلك الصورَ تنزيلًا لذلك منزلةَ عبادتهم الملائكة، ليشفعوا لهم عند اللَّه في نَصْرهم وما ينوبُهم [٣/ب] من أمر الدنيا.

قال قتادةُ، والسُّدي، ومالكٌ -عن زيد بن أسلم، وابن زيد-: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [أي][3]: ليشفعوا لنا ويقربونا عنده [منزلة][4].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾[5].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[6].

وقال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[7].

قال ابنُ عباسٍ وغيرُه: إذا سألتَهم من خلق السموات والأرضَ؟ قالوا: اللَّه. وهم يعبدون معه غيرَه[8]!!

---

(١) سورة الزمر: آية٣.

(٢) في جميع النسخ: عبدوا الأصنام. والمثبت من التفسير.

(٣) زيادة من (ع) و(ط) والتفسير.

(٤) زيادة من التفسير، تفسير ابن كثير ٧/ ٧٥.

(٥) سورة الزخرف: آية ٩.

(٦) سورة الزخرف: آية ٨٧.

(٧) سورة يوسف: آية ١٠٦.

(٨) أخرجه الطبري في «التفسير» ١٦/ ٢٨٦-٢٨٩.

ففسروا[١] الإيمانَ في هذه الآية: بإقرارهم بتوحيد الربوبية، والشركَ - بعبادتهم غير اللَّه - وهو توحيدُ الألوهية[٢].

حقيقة العبادة

فلمَّا تقرَّرَ معنى: الإله، وأنه المعبودُ. تعيَّنَ علينا معرفةُ حقيقة العبادة وحدِّها.

فعرَّفها بعضُهم بأنها: ما أُمِرَ به[٣] شرعًا من غيرِ اطِّرادٍ عُرفيٍّ ولا اقتضاءٍ عقليٍّ[٤].

وقال بعضُهم: هي كمالُ الحب مع كمالِ الخضوع. وهذا يستلزم طاعةَ المحبوب والانقيادَ له.

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يُحبه اللَّه ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة: كالصلاة والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاءِ والذكرِ، و[قراءةِ][٥] القرآن، وأمثال ذلك من العبادة[٦].

---

(١) (ع): ففسر.

(٢) أي: في زعمهم.

(٣) (ع): به الإنسان.

(٤) يُنظر ابن مفلح، الفروع ١/ ١٣٨

(٥) ساقط من الأصل.

(٦) «مجموعة فتاوى ابن تيمية» ١٠/ ١٤٩.

تغييرُ الاسم لا يغيرُ من المُسمَّى شيئًا

فالدينُ كلُّه داخلٌ في العبادة. فإذا عَلِمَ الإنسانُ وتحقَّقَ معنى الإله، وأنه المعبودُ، وعرف حقيقةَ العبادة. تبيَّن له أنَّ من جعل شيئًا من العبادة لغير اللَّه فقد عبده واتخذهُ إلهًا، وإن فرّ من تسميته معبودًا أو[1] إلهًا، وسمى ذلك توسلًا وتشفُّعًا أو التِجاءً[2] ونحو ذلك.

فالمشركُ مشركٌ شاء أم أبى؛ كما أن المُرابي مرابٍ شاء أم أبى، وإن لم يُسمِّ ما فعله ربًا، وشاربُ الخمر شاربٌ للخمرِ وإن سمَّاها بغير اسمها، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**يأتي ناسٌ من أمتي يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها**»[3].

فتغييرُ الاسم لا يغيِّر حقيقةَ المُسمَّى ولا يزيل حكمَه، كتسمية البوادي سوالفَهم الباطلةَ حقًّا، وتسميةِ الظلمةِ ما يأخذونه من الناس بغير اسمه!!!

ولما سمع عديُّ بن حاتم - وهو نصرانيٌّ - قولَ اللَّه تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[4] قال للنبي ﷺ: إنَّا لسنا

---

(١) (ع): و.

(٢) (ع) (ط): و.

(٣) أخرجه أبو داود في «السنن» رقم٣٦٨٨، ٣٦٨٩، وابن ماجه في «السنن» رقم ٤٠٦٩ وأحمد في «المسند»٥/ ٣٤٢، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٧/ ٤٦٥، وابن حبان في «الصحيح» رقم ١٣٨٤(موارد) والطبراني في «الكبير» ٣/ ٣٢١ من حديث أبي مالك الأشعري، وأخرجه أحمد في «المسند»٥/ ٣١٨ من حديث عبادة بن الصامت.

(٤) سورة التوبة: آية ٣١.

نعبُدُهم!! قال: «**أليس يُحرِّمون ما أحل اللهُ فتحرِّمونه، ويُحِلُّون ما حرَّم اللَّه فتحلُّونه؟!**» قال. قلت: بلى! قال: «**فذلك [٤/أ] عبادتهم**»[١].

عدمُ اعتقادِ أنَّ الفعلَ عبادةٌ لا يُؤثِّر في الحكم

فعديٌّ رضي الله عنه: ما كان يَحسِبُ أنَّ مُوافقَتَهم فيما ذُكِرَ عبادةٌ منهم لهم[٢].

فأخبره[٣] ﷺ أن ذلك عبادةٌ منهم لهم، مع أنَّهم لا يعتقدونه عبادةً لهم.

وكذلك ما يفعله عبَّادُ القبور: من دعاءِ أصحابِها، وسؤالِهم قضاءَ الحاجات وتفريج الكُرُبات، والتقربِ إليهم بالذبائح والنذور، عبادةٌ منهم للمقبورين، وإنْ كانوا لا يسمُّونه ولا يعتقدونَه عبادةً.

وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ. ما كانوا يظنُّون أنَّ قولَهم: اِجْعَلْ لنا ذاتَ أنواطٍ، كقول بني إسرائيل: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة.

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم ٣٠٩٤ وقال: هذا حديث غريب، وأخرجه ابن جرير في «التفسير» رقم ٦١٦٣٢، ٦١٦٣٣، والبيهقي في «السنن الكبرى» ١٠ / ١١٦، وابن أبي شيبة في «المصنف» ١٣/ ٤١١، والمزي في «تهذيب الكمال» ٢/ ١٠٩٠، وأخرجه ابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٤/ ١٧٤ من حديث عدي بن حاتم، وحسنه الترمذي كما في المصدر السابق وكتاب «التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب ١/ ١٠٢ (مجموعة مؤلفات) والألباني في «غاية المرام» / ٦.

(٢) (ط): لهم. ساقطة.

(٣) (ع) (ط): فأخبر.

ولم يظنُّوا أنَّ هذا مِن التألُّه لغير اللَّه الذي تَنفيهِ: لا إله إلا اللَّه؛ لأنهم يقولون: لا إله إلا اللَّه، ويعرفون معناها - لأنهم العربُ - لكن خَفِيَتْ عليهم هذه المسألةُ؛ لحداثة عهدِهِم بالكفرِ. حتى قال النبي ﷺ: «**اللَّه أكبر، إنها السُّنن. قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجْعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، قال: إنكم قومٌ تجهلون. لتركَبُنَّ سنن من كان قبلكم**»[(١)].

اعتراض:

فإن قيل: فالنبيُّ[(٢)] ﷺ لم يُكفِّرْهُم بذلك!!

الجواب:

قلنا: هذا يدلُّ على أنَّ من تكَلَّم بكلمة كُفْرٍ جاهلًا بمعناها، ثم نُبِّهَ فتنبَّه أنَّه لا يَكفُرُ.

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم ٢١٨١ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد في «المسند»٥/ ٢١٨، وابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» ٤/ ٨٤، وعبد الرزاق في «المصنف» رقم ٢٠٧٦٣، والحميدي في «المسند» رقم ٨٤٨، والطيالسي في «المسند» رقم ١٣٤٦، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم ٧٦، والطبري في «التفسير»٩/ ٣١، وابن حبان في «الصحيح» رقم ١٨٣٥(موارد) والطبراني في «الكبير» رقم ٣٢٩٠، ٣٢٩٤، والشافعي في «المسند» /٢٣ (بدائع) والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٢٥، وابن أبي شيبة في «المصنف»١٥/ ١٠١، والنسائي في الكبرى «كتاب التفسير» كما في «تحفة الأشراف» ١١/ ١١٢، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٣٣ من حديث أبي واقد الليثي.

(٢) (ط): فإن النبي.

ولا شك أن هؤلاء: لو اتَّخذوا ذاتَ أنواط بعد إنكارِ النبي ﷺ عليهم، لكفروا.

وقال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1]. الضميرُ في قوله: ﴿جَعَلَهَا﴾ راجعٌ لقوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾.

قال مجاهدٌ، وقتادةُ: هي شهادةُ أن لا إله إلا اللَّه، فلا يزال في ذُرِّيةِ إبراهيمَ من يعبدوا[2] اللَّه وحده[3].

ففي الآية والحديثين قبلها: بيان لمعنى لا إله إلا اللَّه، وأن المراد منها البراءة من التأله والعبادة لغير اللَّه، وإفراده سبحانه بالعبادة.

من المصائبِ العظيمة

ومِنْ أعظمِ المصائِبِ: إعراضُ أكثرِ الناسِ عن النَّظرِ في معنى هذه الكلمة العظيمة، حتى صار كثيرٌ منهم يقول: من قال: لا إله إلا اللَّه، ما نقول فيه شيئًا وإن فعل ما فعل!!؛ لعدَمِ معرفتِهم بمعنى هذه الكلمة نفيًا وإثباتًا.

---

(١) سورة الزخرف: الآيات: ٢٦-٢٨.

(٢) (ع) (ط): يعبد.

(٣) ابن كثير، التفسير ٧/ ٢١٢.

بيانُ تناقضِ المُعترِض

مع أنَّ قائلَ ذلك لا بد أن يتناقضَ، فلو قيل له: ما تقول فيمن قال: لا إله إلا اللَّه، ولا يُقرُّ برسالة محمَّد بن عبد اللَّه ؟؟. لم يتوقفْ في تكفيره(١)، أو أقرَّ بالشهادتين وأنكر البعثَ ؟ لم يتوقفْ في تكفيره ! [٤/ب] أو استحلَّ الزنا أو اللواطَ أو نحوَهما، أو قال: إن الصلواتِ الخمسَ ليست بفرضٍ ! أو أنَّ صيامَ رمضان ليس بِفَرضٍ؟!

فلا بد أن يقول بكُفرِ من قال ذلك !! فكيف لا تنفعه لا إله إلا اللَّه إذن(٢)، ولا تحول بينه وبين الكفر!

الجهل و التقليد آفةٌ

فإذا ارتكبَ ما يناقِضُها: وهو عبادةُ غيرِ الله: وهو الشركُ الأكبرُ الذي هو أكبرُ الكبائر. قيل: هو يقول لا إله إلا اللَّه، ولا يجوز تكفيرُه؛ لأنه يتكلَّمُ بكلمة التوحيدِ !! لكن آفةُ الجهلِ والتقليدِ أوجبَتْ ذلك.

وهؤلاء ونحوُهم إذا سمعوا من يُقَرِّر أمرَ التوحيد ويَذكرُ الشركَ، استهزأوا به وعابوه !

---

(١) (ع) (ط): كفره.

(٢) (ع) (ط): إذا.

العيبُ والاستهزاءُ بالموحدين

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية قدَّس اللَّه روحَه -في أثناء كلامٍ له-: والضالون مستخفون بتوحيد الله: يُعظِّمون دعاءَ غيرِه من الأموات، وإذا أُمِروا بالتوحيد ونُهُوا عن الشرك استخَفُّوا به، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ الآية[١].

فاستهزأوا بالرسولِ لمَّا نهاهم عن الشرك، وما زال المشركون يسُبُّون الأنبياءَ ويصفونَهم بالسفاهةِ والضلالِ والجنونِ إذا دعوهُم إلى التوحيد؛ لِمَا في أنفسهم من تعظيمِ الشرك.

وكذلك مَنْ فيه[٢] شَبَهٌ منهم: إذا رأوا من يدعو إلى التوحيد، استهزأوا بذلك[٣]؛ لِمَا عندهم من الشرك.

كيد الشيطان للمبتدعة

ومن كيد الشيطان لمبتدعةِ هذه الأمَّةِ - المشركين[٤] بالبشر من المقبورين وغيرِهم -: لمَّا[٥] علِم عدوُّ اللَّه أنَّ كلَّ من قرأ القرآن أو سمعه،

---

(١) سورة الفرقان: الآيتان ٤٢، ٤٣.

(٢) (ط): فيهم.

(٣) (ط): به.

(٤) (ع): من المشركين.

(٥) (ط): ولما.

ينفِرُ من الشرك ومن عبادة غير اللَّه. ألقى في قلوب الجُهَّال أنَّ هذا الذي يفعلونه مع المقبورين وغيرِهم، ليس عبادةً لهم، وإنَّما هو توسلٌ وتشفُّعٌ بهم، والتجاءٌ إليهم ونحوُ ذلك.

فسلَبَ العبادةَ والشركَ اسمَهُما[1] من قلوبهم، وكساهما أسماءً لا تنفِرُ عنها القلوبُ، ثم ازداد اغترارُهُم وعَظُمَت الفتنةُ، بأَنْ صار بعضُ من يُنسبُ[2] إلى علمٍ ودينٍ يُسَهِّلُ عليهم ما ارتكبوه من الشرك، ويحتجُّ لهم بالحجج الباطلة. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فصل

اعتراض

وقد أورد بعضُهم أنَّ شيخَ الإسلام ابنَ تيمية -رحمه اللَّه تعالى-: ذكر كلامًا وحكاياتٍ تدلُّ على أنَّ دعاءَ الأموات ليس بشركٍ، كما ذكر أنه رُوي أنَّ رجلًا جاء إلى قبر النبي ﷺ فشكى إليه الجَدْبَ عامَ الرَّمادةِ[3]، فرآه وهو يأمرُه أن يأتيَ [٥/أ] إلى عمر بن الخطاب فيأمرَه أن يستسقيَ بالناسِ، وغير ذلك من الحكايات.

---

(١) الأصل: اسمها.

(٢) الأصل: ما.

(٣) وكانت في السنة الثامنة عشرة من الهجرة، أصاب الناس فيها مجاعة شديدة، فأجرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأقوات على المسلمين. ينظر «السيرة» لابن حبان/ ٤٧٦، و«تاريخ الطبري» ٤/ ٢٢٢.

قال بعضُ المجادلين: لو سُلِّم لكم في بعض الأمور أنها شركٌ أو كفرٌ، فإنَّ الشيخَ ذكر في «اقتضاء الصراط المستقيم»: أنَّ المتأولَ، والمجتهدَ المخطئَ، والمقلِّدَ، مغفورٌ لهم ما ارتكبوه من الشركِ والكفرِ!!

الجواب

فهذا تلبيسٌ من الناقلِ، وكذبٌ على الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنه إنَّما قال ذلك في سياق الكلام في بعض البدع: كتحرِّي دعاءِ اللَّه عند قبرِ النبيِّ ﷺ، أو غيرِه. فقال: وقد يفعل الرجلُ العملَ الذي يعتقدُه صالحًا ولا يكونُ عالمًا أنَّه منهيٌّ عنه، فيُثَابُ على حُسن قصْدِه، ويُعفى عنه لعدم عِلمه. وهذا بابٌ واسعٌ، وعامةُ العبادات المبتدَعةِ المنهِيِّ عنها قد يفعلها بعضُ الناس ويحصلُ له نوعٌ من الفائدةِ، وذلك لا يدل على أنَّها مشروعةٌ. ثم العاملُ قد يكون متأوِّلًا، أو مُخطِئًا مجتهِدًا[١] أو مقلِّدًا: فيُغفَرُ له خطؤُه[٢]، ويُثابُ على ما فِعلِه من الخير المشروعِ المقرونِ بغير المشروعِ[٣].

حكمُ العبادةِ المُشتملة على وصفٍ مكروهٍ

قال: والحاصلُ أنَّ ما يقعُ من الدعاء المشتملِ على كراهةٍ[٤] شرعيَّةٍ، بمنزلة سائر العبادات. وقد عُلِمَ أن العبادةَ المشتملةَ على وصفٍ مكروهٍ،

---

(١) (ع): مجتهدًا مخطئًا.

(٢) (ط): خطأه. تحريف.

(٣) ابن تيمية، «الاقتضاء» ٢/ ٧٥٩.

(٤) (ط): كراهية.

قد تُغفرُ تلك الكراهةُ لصاحبها؛ لاجتهاده، أو تقليدِه[١]، أو حسناته، أو غيرِ ذلك. ثم ذلك لا يمنعُ أنَّ ذلك مكروهٌ مَنهيٌّ عنه، وإن كان هذا الفاعلُ المعيَّنُ قد زال موجِبُ الكراهة في حقِّه[٢].

قال: فإذا سمعتَ دعاءً أو مناجاةً مكروهةً في الشَّرع قد قُضِيَتْ حاجةُ صاحبِها، فكثيرا ما يكون من هذا الباب[٣]. ولا يقال: هؤلاء لما نقصت معرفتُهم سَوَّغ[٤] لهم ذلك، فإن اللَّه لم يُسوِّغْ هذا لأحد. لكن قصورُ المعرفة قد يُرجى معه العفوُ والمغفرةُ.

الفرقُ بين العفوِ عن الفاعِل وإباحةِ فعلِه

أما استحبابُ المكروهات، أو إباحةُ المحرَّمات: فلا. ففرقٌ[٥] بين العفو عن الفاعل والمغفرةِ له، وبين إباحة فعلِه أو المحبةِ له.

مفاسد البدعة راجحة على فوائدها

وإنما [يثبتُ][٦] استحباب الأفعال واتخاذُها دينًا بكتاب اللَّه وسنة نبيه، وما كان عليه السابقون الأولون. وما سِوَى هذا من الأمور

---

(١) (ع): تقليد.

(٢) ابن تيمية، «الاقتضاء» ٢/ ٦٩٤

(٣) ابن تيمية، «المصدر السابق» ٢/ ٦٩٥.

(٤) (ع) (ط): يسوغ.

(٥) (ع) (ط): فرق. «الاقتضاء»: نفرق. تحريف.

(٦) إضافة من «الاقتضاء» للتوضيح.

المحدَثة: فلا تُستحبُّ، وإن اشتملتْ أحيانًا على فوائد، لأننا نعلم أن مفاسدَها راجحةٌ على فوائدها[١].

ولما قرر رَحِمَهُ اللَّهُ: أنَّ تحري الدعاءَ عند القبور مَنهيٌّ عنه. قال: ولا يدخل في هذا الباب أنَّ قومًا سمعوا السلام من قبر النبي ﷺ، أو قبور غيره من الصالحين، وأنَّ سعيدَ بن المسيَّب[٢] كان يسمع الأذان من القبر ليالِيَ الحرَّة. [٥/ب] فهذا كلُّه حقٌّ ليس مما نحن فيه، والأمرُ أجلُّ من ذلك وأعظمُ.

قال: وكذلك أيضًا ما يُروى أنَّ رجلًا جاء إلى قبر النبي ﷺ، وشكا إليه الجدْبَ عام الرَّمادَة، فرآه وهو يأمرُه أن يأتيَ عمر فيأمرُه أن يَخرج فيستسقي بالناس[٣].

فإنَّ هذا ليس من هذا الباب.

وكذلك سؤالُ بعضِهم للنبي ﷺ، أو غيرِه حاجةً فتُقضى. فإن هذا قد وقع كثيرًا، وليس هو مما نحن فيه[٤].

إلى أن قال: وكلُّ هذا لا يقتضي استحبابَ الصلاة عند القبور،

---

(١) ابن تيمية، «الاقتضاء» ٢/ ٦٩٧.

(٢) ابن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار. ت بعد التسعين تقريب / ٢٤١. والأثر عنه أخرجه أبو نعيم في الحلية رقم ٥١٠.

(٣) أخرجه البيهقي عن مالك بن أنس بإسناد صحيح كما قال الحافظ ابن كثير في «التاريخ» ٧/ ٩٢.

(٤) ابن تيمية، «الاقتضاء» ٢/ ٧٢٨.

ولا قصدَ الدعاء والنسك عندها ؛ لما في قصد العبادات عندها من المفاسد التي علِمها الشارع[١] .

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ : فذكرتُ هذه الأمور ؛ لأنها[٢] مما يُتوهَّم أنها معارِضةٌ لما قدَّمنا ، وليس كذلك .

الحكمةُ من النَّهي عن الصلاة عند القبور

فإن الخلقَ لم يُنهوا عن الصلاة عند القبور ، واتخاذِها مساجد استهانةً بأهلها[٣] ، بل لِمَا يُخاف عليهم من الافتتان ، وإنما تكون الفتنة إذا انعقد سببُها . فلولا أنه قد يحصل عند القبور ما يُخاف الافتتان به لما نُهي الناسُ عن ذلك . انتهى[٤] .

فانظر قوله : وليس هذا مما نحن فيه .

وليس فيه معارَضةٌ لما ذكرنا ؛ لأنه قرر أن قصدَ القبور لدعاء اللَّه عندها بدعةٌ مَنهِيٌّ عنه ، وكذلك قرَّر أن دعاء الأموات والغائبين والاستغاثة بهم شركٌ ، وذكر أنه ليس في جميع ما ذكره معارَضة لما قرَّره ؛ دفعًا لما قد يُتوهَّم .

(١) ابن تيمية ، المصدر السابق ٢/ ٧٢٨.
(٢) (ع) : لأنه قد.
(٣) (ط) : لأهلها.
(٤) ابن تيمية ، المصدر السابق ٢/ ٧٢٨.

اعتراضٌ

واحتجَّ بعضُ من يجادِلُ عن المشركين: بقصة الذي أوصى أهلَه أن يُحرِّقوه بعد موتِه[١]. على أن من ارتكب الكفرَ جاهلًا لا يكفر، ولا يكفرُ إلا المعاند.

الجواب

والجواب عن ذلك كلِّه: أن اللَّه سبحانه أرسل رسلَه مبشِّرين ومنذِرين؛ لئلا يكون للناس على اللَّه حجةٌ بعد الرسل[٢].

وأعظم ما أُرسِلوا به ودعوا إليه: عبادةُ اللَّه وحده لا شريك له، والنهيُ عن الشرك الذي هو[٣] عبادةُ غيره.

دعوى الجهلِ

فإن كان مرتكبُ الشركِ الأكبر معذورًا لجهله، فمن هو الذي لا يُعذر؟

لازم الدعوى

ولازم هذه الدعوى: أنه ليس لله حجةٌ على أحدٍ إلا المعاندُ. مع أن

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم ٣٤٧٩، ٦٤٨٠، ومسلم في «الصحيح» رقم ٢٧٥٦، وأحمد في «المسند» رقم ٧٦٣٥ من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما.

(٢) قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ سورة النساء آية: ١٦٥.

(٣) (ع): الشرك الذي هو. معلق في الهامش وعليه كلمة «صح».

صاحبَ هذه الدعوى لا يمكنه طردُ أصله، بل لابد أن يتناقض؛ فإنه لا يمكنه أن يتوقف في تكفير من شك في رسالة محمد ﷺ، أو شك في البعث، أو غير ذلك من أصول الدين. والشاك جاهل!.

ضابط المرتد

والفقهاء -رحمهم الله-: يذكرون في كتب الفقه حكمَ المرتدِّ: وأنه المسلمُ الذي يكفر بعد إسلامه [٦/أ]: نطقًا، أو فعلًا، أو شكًّا، أو اعتقادًا[١]. وسببُ الشكِّ: الجهلُ.

غلاة الشيعة

ولازم هذا: أنَّا لا نُكفِّرُ[٢] جهلةَ اليهودِ والنصارى، ولا الذين يسجدون للشمس والقمر والأصنام لجهلهم، ولا الذين حرَّقهم عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه بالنار[٣]؛ لأننا نقطع أنهم جُهَّال!!!

---

(١) (ط): فعلًا أو اعتقادًا أو شكًّا.

(٢) (ط) لا يكفر.

(٣) وهم أتباع ابن سبأ اليهودي، أخرج أبو عاصم، وأبو عمر الطلمنكي، وابن شاهين، والطبري في شرح أصول السنة، من وجوه متعددة يصدق بعضها بعضا، عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه قال: قلت لعامر الشعبي: ما ردك عن هؤلاء القوم وقد كنت فيهم رأسًا؟! قال: رأيتهم يأخذون بأعجاز لا صدور لها. يا مالك: إني قد درست الأهواء فلم أر فيها أحمق من الرافضة! فلو كانوا من الطير لكانوا رخمًا، ولو كانوا من الدواب لكانوا حمرًا!!! - قال- وقد حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، ونفاهم من البلاد. منهم عبد الله بن سبأ اليهودي وحرق منهم قومًا أتوه.=

وقد أجمع العلماء على كفر من لم يكفِّر اليهود والنصارى أو يشك في كفرهم، ونحن نتيقَّن أن أكثرَهم جُهال.

وقال الشيخ تقي الدين: من سبَّ الصحابةَ أو واحدًا منهم، واقترن بسبِّه دعوى أن عليًّا إلهٌ أو نبيٌّ، أو أن جبرائيل غلِط. فلا شكَّ في كفر هذا، بل لا يُشَكُّ[1] في كفرِ من توقَّف في تكفيره.

من زعم أن الصحابة مرتدون

قال: ومن زعم أن الصحابةَ ارتدُّوا بعد رسول اللَّه ﷺ إلا نفرًا قليلًا لا يبلغون بضعةَ عشر، أو أنهم فسقوا. فلا ريب في كفر قائل ذلك، بل من شكَّ في كفره فهو كافر.

قال: ومن ظنَّ أن قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[2]. بمعنى: قدَّر، وأنَّ اللَّه ما قدَّر شيئًا إلا وقع، وجعل عباد الأصنام ما عبدوا إلا الله: فإن هذا من أعظم الناس كفرًا بالكتب كلها. انتهى[3].

= فقالوا: أنت هو! فقال: من أنا؟ قالوا: أنت ربنا!! فأمر بنار أججت فألقوا فيها- وفيه قال- قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى. وقيل للنصارى: مَن خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى. وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: حواري محمد!!! ينظر «منهاج السنة النبوية» ١/ ٢٨، ٣٠٧، و«الفصل» لابن حزم ٥/ ٤٧، و«الفرق» للبغدادي / ١٨.

(١) (ع) (ط): شك.

(٢) سورة الإسراء: آية ٢٣.

(٣) ينظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٢/ ١٢٤.

ولا ريب أن أصحابَ[١] هذه المقالةِ: أهلُ علمٍ وزهدٍ وعبادةٍ، وأنَّ سببَ دعواهُم هذه: الجهلُ.

وقد أخبر اللَّه سبحانه عن الكفار أنهم في شكٍّ مما تدعوهم إليه الرسلُ، وأنهم في شكٍّ من البعث، فقالوا لرسلهم: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[٢]، وقال: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾[٣]، وقال إخبارًا عنهم: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[٤]، وقال عن الكفار: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[٦].

ووصفهم بغاية الجهل، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[٧].

---

(١) (ط): أهل.
(٢) سورة إبراهيم: آية ٩.
(٣) سورة فصلت: آية ٤٥.
(٤) سورة الجاثية: آية ٣٢.
(٥) سورة الأعراف: آية ٣٠
(٦) سورة الكهف: الآيتان ١٠٣، ١٠٤.
(٧) سورة الأعراف: آية ١٧٩.

لا يجوز التقليد في معرفة الله

وقد ذم اللهُ المقلِّدين بقوله عنهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾(١) الآيتين، ومع ذلك كفَّرهم تعالى.

واستدلَّ العلماء بهذه الآية(٢) ونحوها: على أنه لا يجوز التقليدُ في معرفةِ اللَّهِ والرسالةِ.

حجة اللَّه قائمة

وحجةُ اللَّه سبحانه قائمةٌ على الناس [٦/ب] بإرسال الرُّسل إليهم، وإن لم يفهموا حُجَجَ اللَّه وبيِّناتِه.

قال الشيخ موفق الدين أبو محمد بن قدامة(٣) رحمه الله - لما انْجَرَّ كلامُه في مسألة: هل كلُّ مجتهدٍ مصيبٌ؟ ورجَّح قول الجمهور: إنه ليس كل مجتهدٍ مصيبًا(٤) بل الحقُّ في قولٍ واحدٍ من أقوال المجتهدين

قال -: وزعم الجَاحِظُ(٥) أنَّ مُخالِفَ ملَّةِ الإسلام إذا نظر فعجز عن

(١) سورة الزخرف: آية ٢٢.

(٢) (ط): الآيات.

(٣) عبد اللَّه بن أحمد بن محمد بن قدامة، أصولي، فقيه حنبلي ت ٦٢٠ «تاريخ ابن كثير» ١٣/ ٩٩.

(٤) الأصل: مصيب.

(٥) عمرو بن بحر البصري، من كبار المعتزلة ومنظريهم، أديب ساخر ت ٢٥٥. «وفيات الأعيان» ٢/ ١٠٨.

دَرْكِ[١] الحقِّ: فهو معذورٌ غيرُ آثِمٍ.

الردُّ على الجاحظ

إلى أن قال: أما ما ذهبَ إليه الجاحظُ فباطلٌ يقينًا، وكفرٌ باللَّه، وردٌّ عليه وعلى رسوله؛ فإنَّا[٢] نعلم قطعًا أنَّ النبيَّ ﷺ أمر اليهودَ والنصارى بالإسلام واتِّباعِه، وذمَّهم على إصرارهم، وقاتَل جميعَهم[٣]، يقتل البالغ[٤].

ونعلم أن المعاندَ العارفَ ممن يقل، وإنما الأكثرُ مقلدةٌ: اعتقدوا دين آبائهم تقليدًا، ولم يعرفوا معجزةَ[٥] النبيِّ[٦] وصدقَه. والآياتُ الدالة[٧] في القرآن على هذا كثيرةٌ[٨]، كقوله: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[٩]. وقال: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[١٠]، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[١١]، وقوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ

---

(١) (ع) (ط): إدراك.

(٢) (ط): فإنما.

(٣) (ط): وقاتلهم جميعًا.

(٤) (ع): يقتل البالغ منهم (ط): بقتل البالغ منهم. «الروضة»: وقتل البالغ منهم.

(٥) الأصل: معرفة معجزة (ع) (ط): معجزات.

(٦) (ط): الرسول.

(٧) (ط): الدالات.

(٨) الأصل: كثيرًا. (ع): كثير.

(٩) سورة ص: آية ٢٧.

(١٠) سورة فصلت: آية ٢٣.

(١١) سورة الجاثية: آية ٢٤.

شَيْءٍ﴾[١]، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٢]، ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ الآية[٣].

وفي الجملة: ذمُّ المكذبين للرسول مما لا ينحصر في الكتاب والسنة. انتهى[٤].

من موجِبات الردة

والعلماءُ يذكرون: أن من أنكر وجوبَ عبادةٍ من العبادات الخمس، أو قال في واحدة منها[٥]: إنها سنةٌ لا واجبةٌ، أو جحد حِلَّ الخبز ونحوِه، أو جحد تحريمَ الخمرِ أو نحوِه، أو شك في ذلك ومثلُه لا يجهلُه: كفر، وإن كان مثلُه يجهلُه: عُرِّف ذلك، فإن أصرَّ بعد التعريف كفر وقُتل، ولم يقولوا: فإذا تبين له الحق وعاند: كفر.

ليس العناد وحدهُ مناطًا للردة

وأيضًا، فنحن لا نعرف أنه معاند حتى يقول: أنا أعلم أن ذلك حقٌّ ولا ألتزِمه، أو لا أقولُه[٦]، وهذا لا يكاد يوجد.

---

(١) سورة المجادلة: آية ١٨.

(٢) سورة الزخرف: آية ٣٧.

(٣) سورة الكهف: الآيتان ١٠٤، ١٠٥.

(٤) ابن قدامة، «روضة الناظر وجنة المناظر» / ٣٦٢-٣٦٣.

(٥) (ط): منها. ساقطة.

(٦) (ع): أقبله.

وقد ذكر العلماءُ من أهل كلِّ مذهبٍ: أشياءَ كثيرةً لا يمكن حصرُها من الأقوال والأفعال والاعتقادات: أنه يَكفر صاحبها، ولم يقيدوا ذلك بالمعاند.

تناقضٌ بيِّن

فالمدَّعِي أنَّ مرتكبَ الكفر متأولًا، أو مجتهدًا مخطئًا[١]، أو مقلدًا، أو جاهلًا: معذورٌ[٢]. مخالفٌ للكتاب والسنة والإجماع بلا شك، مع أنه لا بد أن ينقُض أصله: فلو طَرَدَ أصلَه كَفَرَ بلا ريبٍ، كما لو توقف في تكفيرِ من شكَّ في رسالة محمد ﷺ ونحوِ ذلك[٣] [٧/أ].

وأما الرجلُ الذي أوصى أهله أن يحرِّقوه، وأن اللَّه غَفَر له، مع شكِّه في صفة من صفات الرَّبِّ سبحانه: فإنما غفرَ له لعدم بلوغ الرسالة له. كذا قال غيرُ واحدٍ من العلماءِ[٤].

الشك في صفة من الصفات

ولهذا قال الشيخُ تقيُّ الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من شكَّ في صفةٍ من صفات الرب ومثلُه لا يجهلُها: كفر، وإن كان مثله يجهلُها: لم يكفر.

قال: ولهذا لم يكفِّر النبيُّ ﷺ الرجلَ الشاكَّ في قدرة الله؛ لأنه

---

(١) (ع) (ط): أو مخطئا.

(٢) الأصل: معذورًا. تحريف.

(٣) الأصل: وغير ذلك (ط) ساقط.

(٤) ينظر «فتح الباري» ٦/ ٥٢٣.

لا يكونُ[(١)] إلا بعد بلوغ الرسالةِ[(٢)]. وكذا قال ابن عقيل[(٣)]، وحَملَه على أنه لم تبلغْه الدعوةُ.

واختيارُ الشيخِ تقي الدين في الصفات: أنه لا يكفر الجاهل، وأما في الشرك ونحوه: فلا، كما ستقف على بعض كلامه إن شاء اللَّه. وقد قدَّمنا بعض كلامه في الاتحادية وغيرهم، وتكفيرِه من شكَّ في كفرِهم.

مظاهر الردة

قال صاحب اختياراته[(٤)]: والمرتدُّ: من أشرك باللَّه، أو كان[(٥)] مُبغِضًا لرسوله أو لما جاء به، أو ترك إنكار كلِّ مُنكَرٍ بقلبه، أو توهَّم أن من الصحابة[(٦)] من قاتل مع الكفار أو أجاز ذلك، أو أنكر مُجمَعًا[(٧)] عليه إجماعًا قطعيًّا، أو جعله بينه وبين اللَّه وسائطَ: يتوكلُ عليهم ويدعوهم ويسألُهم[(٨)]، ومن شكَّ في صفةٍ من صفات اللَّه ومثلُه لا يجهلها: فمرتدٌّ.

(١) (ع): يكفر.

(٢) ينظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٧/ ٥٣٨.

(٣) ١ أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي، متوقد الذكاء، غزير العلم، فيه شائبة اعتزال وتجهم وانحراف عن السنة.ت٥١٣ «تاريخ ابن كثير» ١٣/ ١٨٤و«طبقات القراء» للذهبي ١/ ٣٨.

(٤) أبو الحسن علي بن محمد البعلي المعروف بان اللحام، تلميذ الحافظ ابن رجب، من فقهاء الحنابلة.ت٨٠٣ «الضوء اللامع» ٥/ ٣٢٠.

(٥) (ط) وكان

(٦) في «الاختيارات»: من الصحابة أو التابعين أو تابعيهم.

(٧) (ع): أمرًا مجمعًا (ط): إجماعًا مجمعًا.

(٨) الأصل (ع): ويسألهم إجماعًا (ط) ويسألهم كفر إجماعًا. والمثبت ما في «الاختيارات».

وإن كان مثله يجهلها: فليس بمرتدٍّ؛ ولهذا لم يكفِّر النبيُّ ﷺ الرجلَ الشاكَّ في قدرةِ اللّه تعالى[١].

التفريق بين الجاهل وغيره بالصفات

فأطلق فيما تقدَّم من المكفِّرات، وفرَّق في الصفة بين الجاهل وغيره، مع أن رأيَ الشيخِ رحمه اللّه تعالى - في التوقُّف عن تكفير الجهمية ونحوهم - خلاف نصوص الإمام أحمد وغيره من أئمة الإسلام[٢].

قال المجدُ[٣] رحمه الله: كلُّ بدعةٍ كفَّرنا فيها الداعيةَ، فإنَّا نُفسِّق المقلدَ فيها، كمن يقول بخلق القرآن، أو أنَّ علمَ اللّه مخلوقٌ، أو أنَّ أسماءَه[٤] مخلوقةٌ، أو أنه لا يُرى في الآخرة، أو يسبُّ الصحابة تديُّنًا، أو أن الإيمانَ مجردُ الاعتقادِ، وما أشبه ذلك.

فمن كان عالمًا في شيءٍ[٥] من هذه البدع: يدعو إليه ويناظر عليه، فهو محكومٌ بكفره. نص أحمد على ذلك في مواضع. انتهى.

فانظروا[٦]! كيف حكموا[٧] بكفرِهم مع جهلهم.

---

(١) «الاختيارات الفقهية» / ٣٠٧.

(٢) أخرج طرفًا منها عبد اللّه بن أحمد بن حنبل في كتاب «السنة»١/ ١٠٢-١٣٢.

(٣) أبو البركات عبد السلام بن عبد اللّه بن تيمية النميري، محدث أصولي فقيه. ت٦٥٢. «تاريخ ابن رجب» (الذيل٢/ ٢٤٩).

(٤) الأصل: أسماؤه.

(٥) (ع) (ط): بشيء

(٦) (ع): فانظر.

(٧) (ع): حكم.

فصل

مما يتعينُ الاعتناء به

ومما يتعيَّنُ الاعتناءُ به: معرفةُ حدودِ ما أنزل اللهُ على رسولِه؛ لأن اللَّه سبحانه ذمَّ من لا يعرفُ حدودَ ما أنزل اللَّه [٧/ب] على رسوله، فقال تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾[١].

وجوب معرفة حدود الأسماء

قال شيخ الإسلام: ومعرفة حدود الأسماءِ واجبةٌ؛ لأن بها قيامُ مصلحة الآدميين في المنطق الذي جعله اللَّه رحمة لهم، لاسيما حدود ما أنزل اللَّه على رسوله من الأسماء: كالخمر، والربا. فهذه الحدودُ هي المميِّزة بين ما يدخل في المسمى وما يدل عليه من الصفات، وبين ما ليس كذلك.

وقد ذم اللَّه سبحانه من لم يعلم حدود ما أنزل اللَّه على رسوله. انتهى[٢].

ففرضٌ على المكلَّف: معرفةُ حدِّ العبادة وحقيقتِها التي خلقنا اللَّه

---

(١) سورة التوبة آية ٩٧.

(٢) ينظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» ١٩/ ٢٣٥-٢٥٩.

لأجلها[١]، ومعرفةُ حدِّ الشرك وحقيقتِه الذي هو أكبر الكبائر.

كثيرٌ ممن يشتغل بالعلم لا يعرف حقيقة الشرك الأكبر

وتجد كثيرًا ممَّن يشتغلُ بالعلمِ لا يعرفُ حقيقةَ الشركِ الأكبرِ، وإن قال: إنه الشركُ في العبادة؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[٢] ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٣]، وقوله ﷺ: «**حق اللَّه على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»[٤]!!.

فإنه -[٥] مع اعترافِه بأنَّ الشركَ الذي حرَّمه اللهُ: هو الشركُ في العبادة- لا يعرف حدَّ العبادةِ وحقيقتِها، وربما قال: العبادةُ التي صرْفُها لغير اللَّه شركٌ: الصلاةُ والسجودُ.

فإذا طُلِبَ منه الدليلُ على أن اللَّه سمَّى الصلاةَ لغيره أو السجودَ لغيره شركًا، لم يجدْهُ. وربَّما قال: لأن ذلك خضوعٌ، والخضوعُ لغير اللَّه شرك.

فيُقال له: هل[٦] تجد في القرآن[٧] أو السنةِ تسميةُ هذا الخضوعِ

---

(١) (ط): من أجلها.

(٢) سورة النساء: آية ٣٦.

(٣) سورة الكهف: آية ١١٠.

(٤) قطعةٌ من حديث أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم ١٢٨، ١٢٩، ٢٨٥٦، ٥٩٦٧، ومسلم في «الصحيح» رقم ٣٠، وأحمد في «المسند» ٣/ ٢٦٠، ٢٦١ من حديث معاذ ابن جبل.

(٥) ما بينهما ساقط من (ط) ومعلق في هامش(ع) وبجواره كلمة صح.

(٦) (ط): هل ساقطة.

(٧) (ع) (ط): الكتاب.

شركًا؟. فلا يجدُه.

فيلزمه أن يقول: لأنه عبادةٌ لغير اللَّه.

فيُقال: وكذلك الدعاءُ، والذبحُ والنذرُ: عباداتٌ، مع ما يلزمُ هذه العبادات من أعمالِ القلوبِ: من الذُّلِّ والخضوعِ، والحبِّ والتعظيمِ، والتوكلِ والخوفِ، والرجاءِ وغيرِ ذلك.

وفي الحديث: «**الدعاء مُخُّ العبادة**»[1].

وقد قَرَنَ اللهُ سبحانه بين الصلاةِ والذبحِ في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[2] أي: أَخْلِص له صلاتَك وذبيحتَك، فكما أنَّ الصلاةَ لغير الله:

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» رقم ٣٤٦٨، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة. وأخرجه الطبراني في «كتاب الدعاء» رقم ٨ من حديث أنس، ويشهد له: ما أخرجه أبو داود في «السنن» رقم ١٤٧٩، والترمذي في «الجامع» رقم ٣٢٤٧، وقال: حسن صحيح، والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» ٩/ ٣٠، وابن ماجه في «السنن» رقم ٣٨٢٨، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم ١٨٥، وأحمد في «المسند» ٤/ ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٧، وابن أبي شيبة في «المصنف» ١٠/ ٢٠٠، وابن المبارك في «الزهد» رقم ٤٥٩، والطبراني في «الصغير» ١/ ٩٧، و«كتاب الدعاء» رقم ٢٠٧، وابن حبان في «الصحيح» رقم ٢٣٩٦، والحاكم في «المستدرك» ١/ ٤٩١. ووافقه الذهبي، والطبري في «التفسير» ٢٤/ ٥١، وأبو نعيم في «الحلية» ٨/ ١٢٠ كلهم بلفظ «الدعاء هو العبادة» من حديث النعمان بن بشير، وصححه النووي في «الأذكار» / ٣٣٣، وجوَّد الحافظ ابن حجر إسناده. «فتح الباري» ١/ ٤٩، وأخرجه أيضا الخطيب البغدادي في «التاريخ» ١٢/ ٢٧٩، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٥/ ٣٥٥ من حديث البراء بن عازب.

(٢) سورة الكوثر: آية ٢.

شركٌ، فكذا قرينُ الصلاةِ، وهو الذبحُ لغيرِه[١]: شركٌ.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[٢].

اعتراض

ومن العجبِ: قولُ بعضٍ من يحتجُّ للمشركين بالأموات: إِنَّهم لا يرجون قضاءَ حاجاتِهم من الميِّت [٨/أ] ونحوه.

الجواب

فنقول: هذا مكابرةٌ ومغالطةٌ؛ لأنه من المعلوم عند كلِّ ذي عقلٍ: أنهم ما دَعَوْهُم وتذلَّلوا وخضعوا لهم، وبذلوا أموالَهم بالنُّذورِ[٣] والذبائحَ؛ إلا لأنهم يرجون حصولَ مطلوبهم، وقضاءَ حاجاتهم من جهتهم.

فكيف يُتصوَّرُ عند عاقل أن يسمعَ من يسألُ الميتَ والغائبَ حاجةً بأن يقول: اعطِني كذا، أو[٤] أنا في حَسْبِك، ويستغيثُ به في دفع عدوٍّ أو كشفِ ضُرٍّ، ويتذللُ ويخضعُ له، ثم يقول: إنه لا يرجو حصولَ مطلوبِه ودفعَ مرهوبِه من جهته!!

---

(١) (ط): لغير الله.

(٢) سورة الأنعام: الآيتان ١٦٢، ١٦٣.

(٣) (ع) (ط): لهم بالنذر.

(٤) (ط): و.

وكيف يُتصوَّرُ أن يَبذُل مالَه بالنذر والذبح - مع أن المال عزيزٌ عند أهله- لمن لا يرجوه، ويعتقدُ أنه لا يحصل له من جهته نفعٌ ولا دفعُ ضرٍّ! فهذا من أبْيَنِ المُحال وأبطلِ الباطل.

كيف وهم يفتخرون بقضاء حاجاتهم، وكشف كُرباتهم من جهتهم: فبعضٌ منهم يعتقد[1] أن الميتَ ونحوَه يفعل ذلك أصالةً، وبعضهم يقول: هم وسيلتنا إلى اللَّه، يعنون: واسطة بينهم وبين اللَّه، كما عليه المشركون الأولون؛ كما أخبر اللَّه عنهم أنهم يقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[2]، ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[3].

كثير من المبتدعة أعظم غلوًّا من المشركين الأولين

بل كثيرٌ من مبتدعةِ هذه الأمة: أعظمُ غلوًّا واعتقادًا في ولائجهم من المشركين الأولين؛ لأن اللَّه ﷻ أخبر عن المشركين الموجودين حين نزول القرآن: أنهم يُخلصون لله الدعاءَ في حال الشدةِ، ويَنسون آلهتهم.

وكثيرٌ من غُلاة أهل هذا الزمان: يُخلصون الدعاءَ عند الأمور المهمة والشدائد لولائِجهم، كما هو مستفيضٌ عنهم.

قال اللَّه تعالى إخبارًا عن المشركين الأوَّلين[4]: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ

(١) (ع) (ط): يعتقدون.

(٢) سورة يونس: آية ١٨.

(٣) سورة الزمر: آية ٣.

(٤) (ع) (ط): الأولين. ساقطة.

دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾[٢].

وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[٣].

وقال: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾[٤].

اعتراض

ومن العَجبِ: قولُ بعضِ من يُنسَب إلى علمٍ ودينٍ: إنَّ طلبَهم من المقبورين والغائبين ليس دعاءً لهم بل هو نداءٌ!!

الجواب

أفلا يستَحْيِ[٥] هذا القائلُ من اللَّه إذا لم يستح [٨/ب] من الناس: من هذه الدعوى الفاسِدة السامِجَة[٦]، التي يَروج بها على رَعَاعِ الناسِ، واللهُ

(١) سورة العنكبوت: آية ٦٥.
(٢) سورة الأنعام: الآيتان ٤٠، ٤١.
(٣) سورة الإسراء: آية ٦٧.
(٤) سورة الأنعام: آية ٦٣.
(٥) (ع): يستحيي.
(٦) (ع): والسامجة (ط): السمجة.

سبحانه قد سمى الدعاءَ: نداءً في قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾[1] وقوله: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2] .

وأيُّ فرقٍ بين ما إذا سأل العبدُ ربَّه حاجةً، وبين ما إذا طلبها من غيرِه: ميتٍ أو غائبٍ؟! بأن الأولَ يُسمى دعاءً والثاني نداءً !!.

ما[3] أسمج هذا القول وأقبحَه، وهو قول يُستحيا[4] من حكايته؛ لولا أنه يَروج على الجُهَّال، لا[5] سِيَما إذا سمعوه ممن يعتقدون علمَه ودينَه، وأيُّ فرقٍ بين سؤال الميت حاجةً، وبين سؤالها من صنم ونحوِه! بأن الثاني يسمى دعاءً والأول نداءً ؟!.

فإن قال: الكلُّ يُسمى نداءً لا دعاءً، فهذا مُشاقَّةٌ للقرآن، ومحادَّةٌ للَّه ورسوله،[6] ولا يحتاج في بيان بُطلانه إلى أكثر من حكايته.

وما أظن عاقلًا يَحيكُ هذا في نفسه، وإنما هو عنادٌ ومكابرةٌ، إنما تَروج على أشباه البهائم.

أما يَخاف هذا أن يتناوله قوله: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾[7]

---

(١) سورة مريم: آية ٣.

(٢) سورة الأنبياء: آية ٨٧.

(٣) (ط): وما.

(٤) (ع) (ط): يستحى.

(٥) (ع): ولا.

(٦) ما بينهما ساقط من (ع) و(ط).

(٧) سورة غافر: آية ٥.

والله ﷻ سمى سؤال غيره دعاءً في غير موضعٍ من كتابه: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾[١].

والدعاء في القرآن يتناولُ دعاءَ العبادة ودعاء المسألة.

فصل

دعوى أنَّ الشركَ هو الصلاةُ والسجودُ لغير اللَّه فقط

ويُقال لمن ادَّعى أن الشركَ هو الصلاةُ والسجود لغير اللَّه فقط: مع أن هذا مكابرةٌ من مُدَّعِيه، فكما أنَّ السجودَ عبادةٌ، فكذلك الدعاءُ والنذرُ والذبح وغيرُها[٢]؛ كما تقدم تعريفه.

وقد نهى اللَّه عن دعاءِ غيره، وذمَّ فاعلَ ذلك، وأمَرنا بإخلاص الدعاء له أكثرَ مما ذَكَر في خصوصية السجود، مع أنَّ الدعاءَ في القرآن: يتناولُ دعاءَ المسألة ودعاء العبادة، الذي يَدخلُ فيه السجودُ وغيرُه من أنواع العبادة قال اللَّه تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[٣].

وقال: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٤].

وقال: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾[٥].

---

(١) سورة فاطر: آية ١٤.

(٢) (ع) (ط): وغيرهما.

(٣) سورة الجن: آية ١٨.

(٤) سورة غافر: آية ١٤.

(٥) سورة الرعد: آية ١٤.

وقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١).

وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾(٢).

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ [٩/أ] مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾(٣).

وفي القرآن مِنْ(٤) ذلك ما لا يحصى.

لفظ الدعاء والدعوة في القرآن

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى -في الكلامِ على دعوة ذي النون-: لفظُ الدعاءِ والدعوةِ في القرآن يتناولُ: دعاءَ العبادة ودعاءَ المسألة. وفُسِّرَ قولُه تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ بالوجهين.

وفي حديث النُّزول: «**من يدعوني فأستجيبَ له، من يسألُني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»(٥) والمستغفِرُ سائلٌ، والسائلُ داعٍ، لكن ذِكْرُ

(١) سورة يونس: آية ١٠٦.
(٢) سورة الأحقاف: آية ٥
(٣) سورة فاطر: الآيتان ١٣، ١٤.
(٤) (ط): مثل.
(٥) جزء من حديث النزول المشهور، أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم ١١٤٥،=

السائلِ لدفع الشرِّ بعد السائلِ للخيرِ، وذِكْرُهُمَا بعد الدَّاعي[١] الذي يتناولُهما وغيرهما: من عطف الخاصِ على العام.

وسمَّاها دعوةً لِتَضَمُّنِها النوعين، فقولُه: لا إله إلا أنت. اعترافٌ بتوحيد الألوهية، وهو يتضَمَّن النوعين؛ فإن الإلهَ هو المستحِقُّ لأن يُدْعَى بالنوعين[٢].

المعبودُ لا بد أن يكون مالكًا للنفع والضر

وقال ابنُ القيم في البدائع -بعد آياتٍ ذَكَرَها، قال-: وهذا في القرآن كثيرٌ، يبين أنَّ المعبودَ لا بد أن يكون مالكًا للنفع والضر، فهو يُدعَى للنفع والضر: دعاءَ المسألة، ويُدعى رجاءً وخوفًا: دعاءَ العبادةِ.

فعُلِم أنَّ النوعين متلازمان، فكلُّ دعاءِ عبادةٍ مستلزمٌ لدعاء المسألة،

= ٦٣٢١، ٧٤٩٤، ومسلم في «الصحيح» برقم ٧٧٨، من حديث أبي هريرة، وأخرجه أحمد في «المسند»٤/ ١٦، وابن خزيمة في «التوحيد» رقم ١٩٦، والدارقطني في «النزول» رقم ١٤٧، والآجري في «الشريعة » / ٣١٠، والدارمي في الرد على الجهمية رقم ٣٧، واللالكائي في السنة ٣/ ٤٤١ من حديث رفاعة الجهني، وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة » رقم ٤٨٧، وأحمد في «المسند» ٤/ ٨١، والطبراني في المعجم الكبير رقم ١٥٦٦، وأبو يعلى في «مسنده» ١/ ٣٤٩، والدارمي في «السنن»١/ ٣٤٧، والآجري في «الشريعة» ٣١٢، وابن أبي عاصم في «السنة» ٢٢٢، ٥٠٧، والدارقطني في «النزول» رقم ٩٣، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٥٦٦ من حديث جبير بن مطعم.

(١) (ع) (ط): الدعاء.والمثبت من الأصل و«الفتاوى».

(٢) ينظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» ١٠/ ٢٣٥ - ٢٤٤.

وكلُّ دعاءِ مسألةٍ متضمِّنٌ لدعاءِ العبادةِ.

إلى أن قال: وليس هذا من استعمالِ اللفظ المشترك في معنييْه كليهما، ولا استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، بل هذا استعمالٌ له في حقيقته الواحدةِ المتضمِّنة للأمرين جميعا. انتهى[١].

فعلى هذا يكون النهيُ عن دعاء غيره سبحانه نصًّا في دعاء العبادة، و[٢]دعاء المسألة حقيقةً. فهو نهيٌ عن كلٍّ منهما حقيقةً.

فصل

الفرقُ بين الشرك الأكبر والبدع

وقد ذكرنا أن الشيخَ تقيَّ الدين: إنما قال: تُرجى المغفرةُ لمن فعلَ بعضَ[٣] البدعِ مجتهدًا أو جاهلًا.

لم يقل ذلك فيمن ارتكب الشرك الأكبر والكفر الظاهر.

الشرك لا يُغفر

بل قد قال -رحمه الله تعالى-: إنَّ الشركَ لا يُغفر وإن كان أصغر. وقد قدَّمنا بعض كلامه في ذلك.

---

(١) ابن القيم، بدائع الفوائد ٣/ ٢- ٣.

(٢) (ط): وفي.

(٣) (ع): بعض. ساقطة.

ونذكر هنا ما[١] اطَّلعنا عليه من كلامه، وكلامِ غيره من العلماء.

قال -رحمه اللَّه تعالى- في شرح العمدة[٢]- لما تكلم في كفر تارك الصلاة قال -: وفي الحقيقة فكلُّ ردٍّ لخبر اللَّه أو أمره: فهو كفرٌ دقَّ أو جلَّ، لكن قد يُعفى عمَّا[٣] خَفِيَتْ فيه طرقُ العلمِ، وكان أمرًا يسيرًا في الفروع. بخلافِ ما ظهر أمرُه، وكان من دعائم الدين من الأخبار والأوامر [٩/ب].

الشك في الباطل خيرٌ من الثبات عليه

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ -في أثناء كلامٍ له في ذمِّ أصحاب الكلام-: والرازي[٤] من أعظم الناس في باب الحيرةِ، لكن هو مسرفٌ فيه، له نَهْمَةٌ في التشكيكِ. والشكُّ في الباطل خيرٌ من الثباتِ على اعتقادِه.

لكن قلَّ أن يثبتَ أحدٌ على باطل محضٍ، بل لابدَّ فيه من نوعٍ من الحقِّ، وتوجد الردةُ منهم كثيرًا كالنفاقِ.

وهذا إذا كان في المقالات الخفيةِ، فقد يُقال: لم تُقَمْ عليه الحجةُ التي يكفر صاحبها، لكن يقع ذلك في طوائفَ منهم في أمورٍ يَعلمُ العامةُ

(١) (ع) (ط): بعض ما.
(٢) «عمدة الفقه» لابن قدامة المقدسي، شرحه ابن تيمية شرحًا نفيسًا ولم يكمل، طبعت بعض أجزائه.
(٣) علق في هامش (ع): لعله: عما قد.
(٤) أبو عبد اللَّه فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن التيمي، فيلسوف أشعري، كتب في علمي الأصول والفقه ت٦٠٦ «وفيات الأعيان» ٣/ ٣٨١.

والخاصةُ، بل اليهودُ والنصارى يعلمون أن محمدًا ﷺ بُعث بها وكفَّر من خالفها: مثلُ عبادة اللَّه وحده لا شريك له، ونهيُه عن عبادة غيره. فإن هذا أظهرُ شرائع الإسلام.

ومثلُ أمره بالصلوات الخمس، وتعظيمِ شأنها. ومثلُ معاداة المشركين، وأهل الكتاب. ومثلُ تحريم الفواحش والربا والمَيْسِرِ، ونحو ذلك.

إلى أن قال: وصنَّف الرازي كتابَه في عبادة الأصنام والكواكب[1]، وأقام الأدلة على حُسنه، ورغَّب فيه.

وهذه ردةٌ عن الإسلام إجماعًا. انتهى[2].

اليهود ينكرون الشرك

فقولُه رحمه الله: بل اليهودُ والنصارى يعلمون ذلك. هو كما قال؛ فقد سمعنا عن[3] غير واحدٍ من اليهود: أنهم يَعيبون على المسلمين ما يُفعل عند هذه المشاهد. يقولون: إن كان نبيُّكم أمرَكم بهذا فليس بنبيٍّ، وإن كان نهاكم عنه فقد عَصيتُموه.

فيا سبحان الله: ما أعجبَ هذا!! اليهودُ يُنكِرون هذه الأمور الشركية

(١) «السر المكتوم في دعوة الكواكب والنجوم والسحر والطلاسم والعزائم»، ينظر ابن تيمية، «درء تعارض العقل والنقل»١/ ١١١، ٣١١، و«مجموع الفتاوى» ١٣ / ١٨٠.

(٢) ينظر ابن تيمية، «درء التعارض»١/ ١١١، ٣١١.

(٣) (ط): من.

ويقولون: ما[1] يأتي بها نبيٌّ. وكثيرٌ من علماء هذا الزمان يجوِّزون ذلك، ويوردون الشبهَ الباطلةَ عليه[2]، ويُنكرون على من أنكر[3].

أمرُ الفروع أيسرُ

وانظر قولَ الشيخ: لكن قد يُعفى عما قد خَفيتْ فيه طرُقُ العلمِ، وكان أمرا يسيرا في الفروع.

وقوله أيضا: وهذا [إذا كان][4] في المقالات الخفيَّةِ، فقد يُقال: لم تقم عليه الحجة التي يَكفُرُ صاحبها.

قد يمرق المنتسب إلى الإسلام في هذا الزمان

وقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرسالة السنية -لما ذكر حديث الخوارج-: فإذا كان في زمن رسول الله[5] ﷺ وخلفائه من قد مرق من الدين مع عبادتِه العظيمةِ، فلْيُعلمْ أنَّ المنتسبَ إلى الإسلام في هذا الزمان قد يمرق أيضًا؛ وذلك بأمور: منها الغلوُّ الذي ذمَّهُ اللّه تعالى: كالغلوِّ في بعضِ المشايخِ،

---

(١) (ط): لا.

(٢) علق في هامش الأصل على هذا ما نصه: كما قال بعضهم - وأظنه أبو الخطاب -:
شبهٌ تهافتُ كالزجاج تخالها ... وكل كاسر مكسور.

(٣) (ع) (ط): أنكره. وانظر ما نقله شيخ الإسلام عن نصارى زمانه: من احتجاجهم على عقيدة التثليث الوثنية بما يفعله بعض جهلة المسلمين وضلالهم «الفتاوى» ١/ ٣٧٠، ٤/ ٥١٩.

(٤) الإضافة من هامش (ع) وكتب عليه كلمة صح.

(٥) (ع) (ط): النبي.

مثل الشيخ[١] عدي، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح.

الاستغاثةُ بغير اللَّه شرك وضلال

فكلُّ من غلا في نبيٍّ أو رجلٍ صالحٍ، وجعل فيه نوعًا من الإلهية: مثل أن يدعُوَه [١٠/أ] من دون اللَّه، بأن يقول: يا سيدي فلان أغثني، أو اجبُرني أو توكلتُ عليك، أو أنا في حَسْبِك. فكلُّ هذا شركٌ وضلالٌ، يُستتاب صاحبُه فإن تاب وإلا قُتِل.

فإنَّ اللهَ أرسل الرسلَ، وأنزل الكتبَ؛ ليُعبدَ وحدَه ولا يُجعلَ معه إلهٌ آخر.

والذين يجعلون مع اللَّه آلهةً أخرى: مثلَ الملائكة، والمسيحِ[٢] وعُزيرٍ، والصالحين أو قبورهم. لم يكونوا يعتقدون أنها تَخلق وتَرزُق، وإنما كانوا يدعونهم، يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند اللَّه.

فبعث اللَّه الرسل تنهى أن يُدعا أحدٌ من دونه: لا دعاءَ عبادةٍ ولا دعاءَ استعانةٍ[٣].

---

(١) (ع) (ط): كالشيخ. ويُنظر في شرحه عَدي بن مسافر (ت ٥٥٥ هـ)، ابن كثير، البداية والنهاية ١٢/ ٢٤٣

(٢) (ع): مثل المسيح والملائكة.

(٣) ينظر ابن تيمية، الوصية الكبرى (مجموع الفتاوي) ٣/ ٣٨٣، ٣٩٥، «مجموع فتاوى ابن تيمية»١١/ ٤٩٩-٥٠٢.

الواسطة بين اللَّه وبين خلقه

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ - وقد سُئِل عن رجُلين تنازعا، فقال أحدهما: لابد لنا من واسطةٍ بيننا وبين الله؛ فإنَّا لا نقدر أن نصل إليه إلا بذلك، فأجاب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله -: إنْ أراد بذلك[١] أنه لابد لنا من واسطةٍ تبلغنا أمر اللَّه، فهذا حقٌّ؛ فإنَّ الخَلقَ لا يعلمون ما يُحبه اللَّه ويرضاه، وما يأمر[٢] به ويَنهى عنه، إلا بواسطة الرُّسل الذين أرسلهم اللَّه إلى عباده.

وهذا مما[٣] أجمع عليه أهل المِلَلِ: من المسلمين، واليهود، والنصارى؛ فإنهم يُثبتون الوسائطَ بين اللَّه وبين عباده: وهم الرسل الذين بلَّغوا عن اللَّه أوامره ونواهيَه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٤] ومن أنكر هذه الوسائط، فهو كافرٌ بإجماع أهل المِلَلِ.

وإنْ أراد[٥] بالواسطةِ: أنه لابد من واسطةٍ يتَّخذُها العِبَاد بينهم وبين اللَّه، في جَلْبِ المنافع ودفع المَضَارِّ - مثل أن يكونوا واسطةً في رزق العباد ونصرهم وهداهم - يسألونه[٦] بذلك[٧] ويرجعون إليه فيه.

---

(١) (ط): بذلك. ساقطة.

(٢) (ط): ويأمر.

(٣) (ط): ما.

(٤) سورة الحج: آية ٧٥.

(٥) (ط): أرادوا.

(٦) (ط): يسألون.

(٧) (ع) (ط): ذلك.

فهذا من أعظمِ الشرك الذي كفَّر اللَّه به المشركين، حيث اتَّخذوا من دون الله[١] أولياء وشفعاء: يجتلبون بهم المنافع، ويدفعون[٢] بهم المَضارَّ.

إلى أن قال: مَنْ جَعل الأنبياءَ والملائكة وسائطَ، يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضارِّ، مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهدايةَ القلوب وتفريجَ الكُربات[٣] وسدَّ الفاقات، فهو كافرٌ بإجماع المسلمين.

القياسُ على وسائط الملوك

إلى أن قال: فمن أثبت وسائط بين اللَّه وبين خلقه - كالحُجَّابِ الذين بين المَلِكِ وبين رعيَّتِه -[٤] [١٠/ب] بحيث يكونون هم يَرفعون إلى اللَّه حوائجَ خَلقِه.

وأن اللَّه إنما يهدي عبادَه وينصُرهم ويرزقهم، بتوَسُّطِهِم: بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون اللَّه، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائجَ الناس؛ لِقُرْبِهم منهم، والناس يسألونهم: أدبًا منهم أن يباشروا سؤال المَلِكِ، أو لأنَّ طَلَبَهم من الوسائِل[٥] أنْفَعُ لهم من طلبهم من الملك؛ لكونهم أقربَ إلى الملك من الطَّالِب.

(١) (ع): دونه.

(٢) (ع): ويستدفعون.

(٣) (ع): الكروب.

(٤) (ع) (ط): وبين رعيته.

(٥) (ع): الوسائط.

فمن أثبتهم وسائطَ على هذا الوجه: فهو كافرٌ مُشركٌ، يجب أن يُسْتتابَ فإن تاب وإلا قُتِل.

وهؤلاء مشبِّهون، شبَّهوا الخالِقَ بالمخلوقِ، وجعلوا لله أندادًا. وفي القرآن من الرَّدِّ على هؤلاء: ما لا تَتَّسِعُ له هذه الفتوى[١].

فإن هذا دينُ المشركين عُبَّادِ الأوثان، كانوا يقولون: إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وأنها وسائل يتقربون بها إلى اللَّه، وهو من الشِّرْك الذي أنكره اللَّه على النصارى حيث قال: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾[٢] الآية. انتهى[٣].

فقد جزَم رَحِمَهُ اللَّهُ في مواضعَ كثيرةٍ: بِكُفْرِ من فعل ما ذَكره من أنواع الشرك، (وحكى إجماع المسلمين على ذلك)[٤]، ولم يستثن الجاهلَ ونحوَه. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[٥].

وقال عن المسيح إنه قال: (﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾[٦].

---

(١) ينظر ابن تيمية، «الواسطة بين الخلق والحق» «مجموع فتاوى ابن تيمية» ١/ ١٢١-١٢٦.

(٢) سورة التوبة: آية ٣١.

(٣) الواسطة بين الخلق والحق «مجموع فتاوى ابن تيمية» ١/ ١٣٥.

(٤) ما بينهما معلق في هامش (ع) وبجواره كلمة صح.

(٥) سورة النساء: آية ٤٨ وآية ١١٦.

(٦) سورة المائدة: آية ٧٢.

إخراجُ الجاهل والمتأوِّل والمقلِّد: مشاقَّةٌ لله ورسوله

فمن خصَّ ذلك الوعيد)[١] بالمعانِدِ فقط، وأخرج الجاهل والمتأوِّل والمقلِّد: فقد شاقَّ اللَّه ورسولَه، وخرج عن سبيل المؤمنين.

والفقهاءُ يصدِّرون باب حكم المرتد: بمن أشركَ باللَّه. ولم يقيِّدوا ذلك بالمعاند.

وهذا أمرٌ واضحٌ ولله الحمد.

وقد قال[٢] اللَّه تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[٣].

أبْعَدُ الأمور المبتدَعَة عن الشرع

وقال الشيخ أيضًا: وهذه الأمورُ المبتدَعَة عند القبور أنواعٌ: أبْعدُها عن الشرعِ[٤]: أن يسألَ الميِّتَ حاجةً، كما يفعلُه كثيرٌ من الناس.

وهؤلاء من جنسِ عُبَّاد الأصنام؛ ولهذا قد[٥] يتمثَّل لهم الشيطانُ في صورة الميتِ والغائبِ، كما يتمثل لعُبَّادِ الأصنامِ.

---

(١) ما بينهما معلق في هامش الأصل وعليه كلمة صح.

(٢) (ط): وقال.

(٣) سورة النساء: آية ١٦٥.

(٤) (ط): الشرائع.

(٥) (ط): قد. ساقطة.

لا ينفعُ الشركُ في الأمور العظيمة

ومن تَقْريرِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الأصلِ: ما ذكره في «اقتضاء الصراط المستقيم»، حيث قال: إنَّ الدعاءَ المتضمِّن شركًا: كدعاء غيره(١) أن يفعل، أو دعائِه أن يدعو، ونحو ذلك: لا يُحصِّل(٢) غرضَ صاحبِه، ولا يُورِث حصولُ الغرض شبهةً إلا في الأمور [١١/أ] الحقيرةِ، وأمَّا الأمورُ العظيمةُ: كإنزال الغيث عند القُحُوط(٣)، وكشفِ العذاب النازل. فلا ينفع فيه هذا الشركُ، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾(٤).

وقال: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(٥).

وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.

وقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(٦) الآيات.

فكَوْنُ هذه المطالبِ العظيمة لا يستجيب فيها إلا هو سبحانه: دلَّ على

---

(١) (ع) (ط): غير الله.

(٢) (ط): ليحصل.

(٣) (ع) (ط): القحط.

(٤) سورة الأنعام: الآيتان ٤٠، ٤١.

(٥) سورة العنكبوت: آية ٦٥.

(٦) سورة النمل: آية ٦٢.

توحيده، وقطْعِ شبهةِ من أشرك به، وعُلِم بذلك أن ما دون هذا أيضًا من الإجابات، إنما فَعَلَهَا هو سبحانه وحده لا شريك له، وإن كانت تجري بأسبابٍ مُحرَّمَة أو مباحة؛ كما أن خلْقَه السموات والأرض والسحاب والرياح، وغير ذلك من الأجسام العظيمة: دالٌّ على وحدانيته، وأنه خالقُ كلِّ شيءٍ، وأنَّ ما دون هذا بأن يكون خلْقًا له أولى؛ إذْ هو مُنْفَعِلٌ عن مخلوقاته العظيمة، فخالق السبب التامِّ، خالقٌ للمسبَّبِ لا محالة.

أنواع الشرك

وجماع ذلك: بأنَّ[١] الشرك نوعان:

شركٌ في ربوبيته: بأنْ يُجعَل معه لغيره[٢] تدبيرٌ[٣] ما، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾[٤].

فبيَّنَ[٥] أنهم لا يملكون ذرَّةً استقلالًا، ولا يُشركونه في شيءٍ من ذلك، ولا يُعينونه على مُلكِهِ. فمَنْ لم[٦] يكن مالكًا ولا شريكًا ولا عونًا، فقد انقطعت علاقتُه.

---

(١) (ع) (ط): أن.
(٢) (ع) (ط): لغيره معه.
(٣) الأصل: تدبيرا.
(٤) سورة سبأ: آية ٢٢.
(٥) (ع) (ط): فتبين.
(٦) الأصل: فلم.

وشركٌ في الألوهية: بأن يُدعا غيرُه: دعاءَ عبادةٍ، أو دعاءَ مسألةٍ. كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1] فكما أن إثبات المخلوقات أسبابًا: لا يقدح في توحيد الربوبية، ولا يمنع أن يكون اللهُ خالقَ كلِّ شيءٍ، ولا يُوجِبُ (أن يُدْعَا المخلوقُ دعاءَ عبادةٍ أو دعاءَ استعانةٍ.

إثباتُ بعضِ الأفعالِ الشركيةِ أسبابًا لا يقدَحُ في توحيد الألوهية

كذلك إثباتُ بعض الأفعال المحرَّمة من شركٍ أو غيره، أسبابًا: لا يَقدَح في توحيدِ الألوهية، ولا تَمنَعُ)[2][3] أن يكون اللهُ هو الذي يستحق الدينَ الخالصَ، ولا يُوجِبُ أن تُستعملَ الكلماتُ والأفعالُ التي فيها شركٌ إذا كان اللَّه يَسخَطُ ذلك [١١/ب] ويُعاقِبُ العبدَ عليه، وتكون مَضَرَّةُ ذلك على العبد أكثرَ من مَنفعتِه؛ إذْ قد جَعل الخيرَ كلَّه في: أنَّا لا نعبدُ إلا إياه، ولا نستعينُ إلا إياه.

عامَّة القرآن في تقرير أصل الأصول

وعامةُ آياتِ القرآن تُثبتُ هذا الأصلَ، حتَّى أنه سبحانه قطع أثرَ الشفاعة بدونِ إذنه.

---

(١) سورة الفاتحة: آية ٥.

(٢) ما بينهما معلق في هامش (ع) وبجواره كلمة صح.

(٣) (ع) (ط): الإلهية ولا يمنع.

فذكر رَحِمَهُ اللَّهُ آياتٍ كثيرةً في هذا المعنى. ثم قال: والقرآنُ عامَّتُه إنما هو في تقرير هذا الأصل العظيم، الذي هو أصلُ الأصول[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضعٍ آخر[2]: ونحن نعلم بالضرورة، أن النبيَّ ﷺ لم يَشرَع لأمته أن يَدعوَ[3] أحدا من الأحياء والأموات، لا الأنبياءَ ولا غيرَهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بلفظ الاستعانة، ولا بغيرهما. كما لم يشرع السجود لميِّتٍ، ولا إلى ميتٍ ونحو ذلك.

غلبة الجهل تدعو إلى التريث في التكفير حتى تقوم الحجة

بل نعلم أنه نهى عن ذلك كله، وأنه من الشرك الذي حرمه اللَّه ورسوله، لكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين: لم يُمكن تكفيرهم، حتى يُبيَّنَ لهم ما جاء به الرسول.

قال: ولهذا ما بينتُ هذه المسألة قَطُّ[4] لمن يعرف أصل دين[5] الإسلام، إلا تفطَّن لها، وقال: هذا أصل دين الإسلام.

وكان بعض أكابر الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول: هذا أعظم ما بينتَه لنا؛ لعلمه بأن هذا أصل الدين. انتهى.

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» ٢/ ٧٠٢-٧٠٥.

(٢) (ط): مواضع.

(٣) (ط): تدعو.

(٤) (ط): قط. ساقطة.

(٥) (ط): دين. ساقطة.

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لم يمكن تكفيرُهم حتى يُبيِّن لهم ما جاء به الرسول - لم يقل : حتى يَتَبَيَّنَ لهم ما جاء به الرسول -[١]، [٢] - أي : لم يمكن تكفيرهم بأشخاصهم وأعيانهم : بأن يقال : فلانٌ كافرٌ ونحوه .

بل يقال : هذا كفر ، ومن فعله كفرَ ؛ كما[٣] أطلقَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكفرَ على فاعل هذه الأمور ونحوِها في مواضع لا تُحصى ، وحكى إجماع المسلمين على كفر فاعل هذه الأمور الشركية .

وصرَّح بذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مواضع ، كما قال في أثناء جواب له في الطائفة القَلَنْدَرِيَّة[٤] .

قال بعد كلامٍ كثير : وأصلُ ذلك ، أنَّ المقالةَ التي هي كفرٌ في الكتاب والسنة والإجماع ، يقال : هي كفرٌ مُطلَقًا[٥] ؛ كما دل على ذلك الدليل الشرعيُّ .

---

(١) ما بينهما ساقط من (ط).

(٢) (ع) : (ما جاء به الرسول، ومراده بقوله : لم يكن يكفرهم حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ) وبجواره كلمة صح.

(٣) (ط) : كما. ساقطة.

(٤) أصل هذا الصنف : أنهم كانوا قومًا من نساك الفرس، يدورون على ما فيه راحة قلوبهم بعد أداء الفرائض واجتناب المحرمات، ثم إنهم بعد ذلك تركوا الواجبات وفعلوا المحرمات، وسيماهم حلق اللحى، وكثير منهم أكفر من اليهود والنصارى. ينظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٣٥/ ١٦٣.

(٥) (ط) : مطلق. وفي «مجموع الفتاوى» : قولًا يطلق.

الإيمان والكفر من الأحكام المتلقاة عن الشارع

فإن الإيمانَ والكفر من الأحكام المُتلقَّاةِ عن اللَّه ورسوله، ليس ذلك مما يَحكُمُ الناسُ فيه بظنونهم، ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك: بأنه كافرٌ، حتى يثبت[1] في حقه شروط التكفير، وتنتفي موانعه. مثل من قال: إن الزنا أو الخمر حلال؛ لقرب عهده بالإسلام أو نشوئه ببادية بعيدة[2].

الحذر من التسرع في التكفير

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر - في أثناء كلامٍ له على هذه المسألة -: وحقيقةُ الأمر في ذلك: أن القول يكون كفرًا، فيُطلق القولُ بتكفير صاحبه فيُقال[3]: من قال [١٢/أ] كذا فهو كافر.

لكنَّ الشخصَ المعيَّنَ الذي قاله: لا يُحكَمُ بكفره حتى تقومَ عليه الحجة التي يكفر تاركها.

كيفية التعامل مع نصوص الوعيد

فهذا كما في نصوص الوعيد، فإن اللَّه يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ

(١) (ط): تثبت.

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٣٥/ ١٦٥.

(٣) (ع) (ط): ويقال.

﴿ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[1]. الآية.

فهذا ونحوه من نصوص الوعيد، حقٌّ. لكنَّ الشخصَ المعينَ لا يُشهد عليه بالوعيد، فلا نشهد[2] لمعينٍ من أهل القبلة بالنار؛ لجواز ألا يلحقه الوعيدُ لفوات شرطه أو بثبوت[3] مانعٍ. فقد لا يكون بلغهُ التحريمُ، وقد يتوبُ من فعلِه[4] المحرَّم، وقد يكون له حسناتٌ عظيمةٌ تمحو عقوبة ذلك المحرَّم، وقد يُبتلى بمصائب تكفِّر عنه.

وقال ابن القيم في شرح المنازل: ومن أنواعِه - أي: الشرك - طلبُ الحوائجِ من الموتى، والاستغاثةُ بهم، والتوجُّهُ إليهم.

أصل شرك العالم

وهذا أصل شرك العالم، فإنَّ الميتَ قد انقطع عملُه، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا[5] لمن استغاث به[6] وسأله أن يشفع له[7].

وقال في أثناء كلامٍ له: فما أسرع أهلَ الشرك إلى اتخاذ الأوثانِ من دون اللَّه ولو كانت ما كانت!

---

(١) سورة النساء: آية ١٠.

(٢) (ع) (ط): يشهد.

(٣) (ع) (ط): شرط أو ثبوت.

(٤) (ع) (ط): فعل.

(٥) (ط): فضلًا عن أن يملكه لمن.

(٦) (ع) (ط): أو.

(٧) ابن القيم، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» ١/ ٣٤٦.

ويقولون: إن هذا الحَجَر، وهذه الشجرة[١]، وهذه العين، تقبل النذر.

أي: تقبل العبادة من دون اللَّه تعالى؛ فإن النذر عبادةٌ وقُربةٌ يَتقرب بها الناذرُ إلى المنذور له.

لا يجوز إبقاء مواضع الشرك يوما واحدا

وقال في الهدي[٢] - في فوائد غزوةِ الطائف[٣] -: ومنها: أنه لا يجوز إبقاءُ مواضعِ الشركِ والطواغيت، بعد القدرةِ على هدْمها وإبطالها، يومًا واحدًا.

فإنها شعائرُ الكفر والشرك، وهي من أعظم[٤] المنكَرات، فلا يجوز الإقرارُ عليها بعد القدرة البتَّةَ، وهذا حكم المَشاهِدِ التي بُنيتْ على القبور التي اتُّخِذت أوثانًا وطواغيت تُعبدُ من دون اللَّه، والأحجارِ التي تُقصدُ بالتعظيم، والتبركِ والنذرِ والتقبيلِ.

فلا يجوزُ إبقاءُ شيءٍ منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها، وكثيرٌ منها بمنزلة اللاتِ والعُزى ومناةِ الثالثة الأخرى، بل أعظم شركا عندها وبها. واللَّه المستعان.

---

(١) (ط): وهذه الشجرة. ساقط.

(٢) (ع): في الهدي. ساقط.

(٣) كانت في شوال سنة ثمان من الهجرة، بعد منصرفه من غزاة حنين. ينظر «جوامع السيرة» لابن حزم/ ٢٤٢ و«الدر» لابن عبد البر / ٢٧٢.

(٤) في «الهدي»: وهي أعظم.

ولم يكنْ أحدٌ من أرباب هذه الطواغيت يَعتقدُ أنها تَخلُقُ وتَرزق وتُحيِي وتُميت، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانُهم من المشركين اليومَ عند طواغيتهم، فاتَّبع هؤلاء سَنَنَ من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القُذة بالقُذة، وأخذوا مأخذهم شبرا بشبر وذراعا بذراع [١٢/ب].

وغلبَ الشركُ على أكثر النفوس؛ لِظهورِ الجهلِ وخَفاء العلم، فصار المعروفُ منكرًا والمنكرُ معروفًا، والسنةُ بدعةً والبدعةُ سنةً، ونشأ في ذلك الصغير وهَرِمَ عليه الكبيرُ، وطُمِست الأعلامُ واشتدت غربةُ الإسلام، وقلَّ العلماءُ وغلبت السفهاء، وتفاقم الأمر واشتد البأس، وظهر الفساد في البَرِّ والبحر بما كسبت أيدي الناس.

لا تزال طائفةٌ بالحق قائمين

ولكن لا تزال طائفةٌ من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أن يرث اللهُ الأرض ومَن عليها وهو خيرُ الوارثين. انتهى[١].

سبب حدوث الشرك

والأمر كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ: أن سببَ حدوثِ الشركِ وظهوره: ظهورُ[٢] الجهلِ[٣] وخَفَاءِ العلم، وقلةِ العلماء وغلبة السفهاء.

---

(١) «زاد المعاد في هدي خير العباد» ٣/ ٥٠٦-٥٠٧.

(٢) (ط): وظهوره: ظهور. ساقط.

(٣) (ط): و. ساقطة.

المجادل عن المشركين فاقد لأصل العلم

فيستبين[1] لطالبِ الحقِّ: أن من جادل عن المشركين، وسهَّل عليهم ما ارتكبوه من الشرك، واحتجَّ لهم بالحجج الباطلة: أنه فاقدٌ أصلَ العلم وأفْرَضَهُ، فيستحقُّ أن يُوصَفَ بالجهل، وإن كان له اشتغالٌ بأنواعٍ من العلوم القليلِ نفعُها.

ففي هذا مصداق قول النبي ﷺ: «لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ»[2].

مساهمة علماء المناصب والوَجاهة في هدم الدين

وما أحسن ما قال ابنُ المبارك[3]:

وهل أفسد الدينَ إلا الملوكُ ... وأحبارُ سوءٍ ورهبانُها[4]

---

(١) (ع): فتبين (ط): فيتبين.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم ٣٤٥٦، ومسلم في «الصحيح» رقم ٢٦٦٩، وأحمد في «المسند» ٣/ ٨٤، ٨٩، ٩٤ من حديث أبي سعيد الخدري، وأخرجه البخاري في «الصحيح» رقم ٧٣٢٠، وأحمد في «المسند» ٢/ ٣٢٧، ٤٥٠، ٥٢٧ من حديث أبي هريرة، وجملة «حذو القذة بالقذة» لم تخرج في الصحيحين، وإنما هي من حديث شداد بن أوس عند أحمد في «المسند» ٤/ ١٢٥. وصححه ابن تيمية في إقامة الدليل (الفتاوى الكبرى) ٦/ ٣١

(٣) أبو عبد الرحمن، عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، مولاهم، ثقةٌ ثبْتٌ فقيهٌ عالم جواد مجاهد، جمعت فيه خصال الخير، ت١٨١ «تقريب» ٣٢٠.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٨/ ٢٧٩ وابن عبد البر في «الجامع» ١/ ٢٠٠ في جملة أبيات مطلعها: =

ويُروى: أن هلاكَ مَنْ[١] قبلَنا، كان على يدِ[٢] قُرَّائهم وفُقهائِهم فإنَا لله وإنا إليه راجعون.

استخدام الشيطان

قال ابن القيم: ومن ذبح للشيطان ودعاه، واستعاذ به، وتقرَّب إليه بما يُحب[٣]، فقد عبدَهُ وإن لم يُسمِّ ذلك عبادةً، ويسميه استخدامًا وصَدَقَ! هو استخدامٌ من الشيطانِ لَهُ[٤].

وقال:

والشركُ فاحذره فشركٌ ظاهرٌ	ذا القسمُ ليس بقابِلِ الغُفرَان
وهو اتخاذُ النِّدِّ للرحمن أيًا	كان من شجرٍ[٥] ومن إنسانٍ
يدعوه أو يرجوه ثم يخافُهُ	ويُحبه كمَحبة الدَّيَّان
واللَّه ما ساوَوْهم باللَّه في	خلقٍ ولا رزْقٍ ولا إحسان

= رأيت الذنوبَ تميت القلوبَ ... ويتبعها الذل إدمانها
وتركُ الذنوب حياةُ القلوب ... وخيرٌ لنفسك عصيانُها

ثم قال:

لقد رتع القوم في جيفة ... يبين لذي العقل أنتانها !!

(١) (ط): من كان.

(٢) (ع): يدي (ط): أيدي.

(٣) (ط): يجب.

(٤) (ط): له. ساقطة. والنقل عن ابن القيم في «بدائع الفوائد» ٢/ ٣٥.

(٥) (ط) و«الكافية»: حجر.

لكنهم[١] ساووهم بالله في   حُبٍّ وتعظيم وفي إيمان[٢]
جعلوا مَحبتَّهم مع الرحمن ما   جعلوا المحبة قَطُّ للرحمن[٣]

وقال شيخ الإسلام: وأما ما نذره لغير الله: كالنذر للأصنام والشمس، والقمر والقبور، ونحو ذلك. فهو بمنزلة أن يحلِف بغير اللّه من المخلوقات.

الحالفُ بالمخلوق قَسَمُه هدر

والحالفُ بالمخلوقات لا وفاءَ [١٣/أ] عليه ولا كفارة، وكذلك الناذر للمخلوق ليس عليه وفاءٌ ولا كفارةٌ؛ لأن كليهما شركٌ، والشركُ ليس له حُرمَةٌ، بل عليه أن يستغفرَ اللّه من العَقْد، ويقول ما قال النبي ﷺ: «**من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله**»[٤]. انتهى[٥].

قوله: فهو بمنزلة أن يحلفَ بغير اللّه. أي: في عدم الانعقادِ؛ لأن[٦] حقيقتَه كحقيقتِهِ؛ لأنَّ[٧] النذرَ عبادةٌ بخلاف الحلف.

---

(١) الأصل و(ع): لكن. تحريف.
(٢) في «الكافية» بين هذا البيت والذي قبله قوله: فاللّه عندهم هو الخلاق الرزاق مولي الفضل والإحسان.
(٣) ابن القيم، «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» / ١٥٧.
(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم ٦٦٥٠، ومسلم في «الصحيح» رقم ١٦٤٧، من حديث أبي هريرة.
(٥) ينظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» ١١/ ٥٠٤، ٢٧/ ١٤٦، ٣٣/ ١٢٣.
(٦) (ع): لا أن (ط): ولأن.
(٧) (ع): حقيقته كحقيقة (ط) ساقط.

وقال أيضًا: قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[1] ظاهرُه: أنه ما ذُبح لغير اللَّه، مثل أن يقولَ: هذه ذبيحةٌ لكذا.

المذبوح لله أزكى من المذبوحِ للَّحمِ

وإذا كان هذا المقصود[2]: فسواءٌ لَفَظَ به أو لم يلفِظ، وتحريمُ هذا أظهر من تحريم ما ذبح للحم، وقيل فيه: باسم المسيح ونحوه؛ لأن ما ذبحناه متقرِّبينَ به[3] إلى اللَّه، كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم، وقلنا فيه: بسم اللَّه. فإنَّ عبادة اللَّه بالصلاة له، والنُّسُك: أعظم من الاستعانة باسمِه في فواتح الأمور.

العبادة لغير اللَّه أعظمُ كفرًا

فإذا حَرُم ما قيل فيه: باسم المسيح أو الزهرة، فلَأَنْ يَحْرُمَ ما قيل فيه: لأجل المسيح أو الزهرة، أو[4] قُصِدَ به ذلك أولى. فإنَّ العبادةَ لغير اللَّه، أعظمُ كفرًا من الاستعانة بغير اللَّه.

فعلى هذا: فلو ذَبَحَ لغير اللَّه متقربا إليه لَحَرُمَ، وإن قال فيه: بسم اللَّه، كما[5] يفعله طائفةٌ من مُنافقِي هذه الأمةِ، الذين يتقربون إلى الكواكب

---

(١) سورة المائدة: آية ٣.

(٢) (ط): هذا هو.

(٣) (ط): به. ساقطة.

(٤) (ط): و.

(٥) (ع) (ط): كما قد.

بالذبحِ والبُخور[١] ونحو ذلك.

وإنْ[٢] كان هؤلاء مرتدين لا تُباح ذبيحتُهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحةِ مانِعَان. ومن هذا الباب: ما يفعله الجاهلون بمكة من الذبح للجن[٣].

الذبح للمعبود أعظم الخضوع

قال: ولهذا كان عُبَّادُ الشياطين[٤] والأصنام، يذبحون لها الذبائح، فالذبحُ للمعبود غايةُ[٥] الذُّلِّ والخضوعِ؛ ولهذا لم يَجُز الذبحُ لغير اللَّه.

وقال في موضعٍ آخر: والمسلم إذا ذبح لغير اللَّه، أو ذبح بغير اسمه لم تُبَح ذبيحتهُ وإن كان يكفر بذلك.

إلى أن[٦] قال: ولأنَّ الذبح لغير اللَّه، وباسم غيره: قد عُلِمَ أنه ليس من دين الإسلام، بل هو من الشركِ الذي أحدثوه.

قال: وقولُ الشيخ: انذروا لي لتُقضَى حاجتُكم أو استعينوا بي. إن

(١) (ط): النذور. وعلق في هامش (ع) وكتب عليه حرف (خ) إشارة إلى ما في النسخة الأخرى.

(٢) (ط): إن.

(٣) عادة جاهلية انقرضت الآن والحمد لله.

(٤) (ع) (ط): الشيطان.

(٥) (ط): غايته.

(٦) (ط): أنه.

أصَرَّ ولم يَتُب، قُتِل[١].

قولُ أبي محمد البَرْبَهَارِيِّ

وقال أبو محمد البَرْبَهَارِيُّ[٢] -شيخ الحنابلة في وقته- في عقيدته: ولا نُخرج أحدًا مِن أهل القبلة مِن[٣] الإسلام، حتى يَرُدَّ آيةً من كتاب اللَّه أو يردَّ شيئًا[٤] من آثار رسول اللَّه، أو يُصلِّيَ لغير اللَّه، أو يذبحَ لغير اللَّه. [وإذا فعل شيئًا من ذلك][٥] فقد وَجَبَ عليك أن تُخرجه من الإسلام - في كلام كثير -[٦] انتهى[٧].

سمِع البربهاريُّ من المرُّوذي وغيرِه[٨].

وقال ابن القيم: رأيتُ لأبي الوفاء بن عقيل [١٣/ب] فصلًا حسنًا، فذكرتُه بلفظه.

---

(١) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٥٦٢، ٥٦٤، «مجموع فتاوى ابن تيمية» ١٧/ ٤٨٤، ٤٨٦، ٢٣/ ١٢٥.

(٢) الحسن بن علي بن خلف، حافظ، فقيه، ثقة، زاهد، جريء في الحق. ت٣٢٩ «سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٩٠.

(٣) (ع) (ط): عن.

(٤) الأصل: شيء. تحريف.

(٥) إضافة من «شرح السنة».

(٦) (ع) (ط): كثير ذكره.

(٧) كتاب «شرح السنة» / ٣١.

(٨) ينظر: ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد (المختارون من الطبقة الثانية) ٦١٨.

السِّرُّ في سهولة البدعة على المبتدعين

قال: لما صعُبت التكاليفُ على الجُهال والطُّغام، عَدَلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاعٍ[1] وضعوها لأنفسهم، فسهُلت عليهم؛ إذ لم يدخلوا بها تحت أمرِ غيرهم.

قال: وهم عندي كُفارٌ بهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع: مثل إيقاد السُّرُج وتقبيلِها وتَخْلِيقِها، وخطاب أهلها بالحوائج، وكَتْبِ الرقاع فيها: يا مولاي افعلْ لي[2] كذا وكذا، وأَخْذِ تُربتِها تبرُّكًا، وإفاضةِ[3] الطِّيبِ على القبورِ، وشدِّ الرِّحال إليها، وإلقاءِ الخِرَقِ على الشَّجَر اقتداءً بمن عَبَدَ اللات والعُزَّى.

والويلُ عندهم: لمن لم يُقبِّلْ مَشهد الكفِّ، ولم يتمسَّحْ بالآجُرِّ يومَ الأربعاء، ولم يَقُل الحمَّالون على جنازته: أبو بكرٍ الصدِّيق ومحمد وعلي، أو[4] لم يعقد على قبر أبيه أُزجًا[5] بالجص والآجُر، ولم يخرق ثيابه، ولم يُرِق ماءَ الورد على القبر. انتهى[6].

فانظُر إلى تكفيرِ ابنِ عقيلٍ لهم، مع إخبارِه بجهلِهم.

(١) الأصل و(ط): تعظيم. ساقطة، وعلقت في هامش (ع) وكتب عليها: صح أصل.
(٢) (ع) (ط): بي.
(٣) الأصل: وإضافة.
(٤) (ع) (ط): و.
(٥) الأَزَجُ: ضربٌ من الأبنية. «التاج» ٥/ ٤٠٤.
(٦) ابن القيم، «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» ١/ ٢١٤.

بطلان نذورِ أكثرِ العوام

وقال الشيخ قاسمٌ الحنفي[١] في شرح درر البحار: النذرُ الذي ينذره أكثرُ العوام، على ما هو مشاهَدٌ الآن: كأن يكون لإنسانٍ غائبٌ أو مريضٌ، أو له حاجةٌ ضروريةٌ، فيأتي إلى قبر بعضِ الصُّلحاءِ، ويجعل على[٢] رأسه سترةً، ويقول: يا سيدي فلان ! إن ردَّ اللهُ غائبي أو عُوفِيَ مريضي، أو قُضيتْ حاجتي. فلك من الذهَب كذا، أو من الفضة كذا، أومن الطعام كذا، أو من الماء كذا، أو من الشمع كذا. فهذا باطلٌ بالإجماع لوجوهٍ منها: أنه نذرٌ لمخلوقٍ، والنذرُ للمخلوقِ لا يجوز؛ لأنه عبادةٌ، والعبادةُ لا تكون لمخلوقٍ.

ومنها: أن المنذورَ له ميتٌ، والميتُ لا يملك.

ومنها: أنه ظن أنَّ الميتَ يتصرفُ في الأمور دون اللّه، واعتقادُ ذلك كفر.

إلى أن قال: إذا علمتَ ذلك. فما يُؤخذُ من الدراهم والشمع والزيتِ وغيرها، ويُنقل إلى ضرائح الأولياء تقرُّبًا إليهم، فحرامٌ بإجماع المسلمين[٣].

---

(١) ينظر في ترجمة قاسم الحنفي (ت ٨٧٩ هـ) البغدادي، هدية العارفين ١/ ٨٢٠

(٢) الأصل: على. ساقطة.

(٣) نقله ابن نجيم، في «البحر الرائق» ٤/ ٣٢٠

معنى الذبح لغير الله

وقال النوويُّ(١) -في شرح مسلم، على قول النبي ﷺ: «**لعن اللّه من ذبح لغير الله**»(٢) -: المراد به أن يَذبح بغير اسم اللّه، كمن يذبح للصنم أو للصليب، أو لموسى أو لعيسى، أو للكعبة، ونحو ذلك. وكلٌّ هذا حرامٌ، ولا تَحِلُّ هذه الذبيحةُ(٣).

وسواء كان الذابحُ مسلمًا أو نصرانيًّا.

إلى أن قال: فإن قصَدَ مع ذلك تعظيمَ المذبوحِ له -غير الله- والعبادةَ له. كان كفرا، فإن كان الذابحُ مسلِمًا. صار بالذبح مُرتدًّا. انتهى(٤).

وقال الشيخ صنع اللّه الحنفي(٥) - في الرد على من أجاز النذرَ [١٤/أ] والذبحَ للأولياءِ، وأثبتَ الأجر في ذلك -: فهذا الذبحُ والنذرُ، إن كان

---

(١) أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، حافظ فقيه، في عقيدته بعض الانحراف عن جادة أهل السنة والجماعة، واللّه يغفر له. ت٦٧٦ «شذرات الذهب» ٥/ ٣٥٦.

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم ١٩٧٨، وأحمد في «المسند» ١/ ١٠٨، ١١٨، ١٥٢، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخرجه النسائي في «الكبرى» (كتاب الرجم) كما في «تحفة الأشراف» ١/ ٤٠، وأحمد في «المسند» ١/ ٣٠٩، ٣١٧ وعبد بن حميد «مسنده» رقم ٥٨٧ والحاكم في «المستدرك» ٤/ ٣٥٦ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) (ط): لذبيحة.

(٤) النووي، «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» ١٣/ ١٤١.

(٥) يُنظر في ترجمة صنع اللّه الحنفي المكي (ت ١١٢٠ هـ) البغدادي، «هدية العارفين» ١/ ٤٢٨

على أسمِ فلانٍ وفلانٍ، لغيرِ اللَّه. فيكونُ باطلا.

وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾[1]، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2] أي: صلاتي وذبحي لله، كما فسر به قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[3].

قال: والنذرُ لغير اللَّه إشراكٌ مع اللَّه.

إلى أن قال: والنذرُ لغير اللَّه. كالذبحِ لغيره.

خمسةٌ لغير اللَّه شرك

وقال الفقهاء: خمسةٌ لغير اللَّه شركٌ: الركوعُ، والسجودُ، والذبحُ، والنذرُ، واليمينُ.

قال: والحاصل: أنَّ النذرَ لغير الله: فجورٌ، فمِنْ أين تحصُلُ لهم الأجورُ![4].

وقال ابنُ النَّحَّاس[5] في كتاب الكبائر: ومنها: إيقادُ السُّرُجِ عند الأحجار والأشجارِ، والعيونِ والآبارِ، ويقولون: إنها تَقبَلُ النذرَ!!

---

(١) سورة الأنعام: آية ١٢١.

(٢) سورة الأنعام: آية ١٦٢

(٣) سورة الكوثر: آية ٢.

(٤) صنع اللَّه الحنفي، «سيف الله» ورقة ١١

(٥) أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي الدمياطي، فقيه وداعية إصلاحي ت٨١٤ «شذرات الذهب».

وهذه كلُّها بدعٌ ومنكراتٌ قبيحةٌ، تجب إزالتُها ومحوُ أثرِها؛ فإنَّ أكثرَ الجُهالِ يعتقدون أنها تنفع وتَضُرُّ، وتجلِب وتدفع، وتشفي المرضَى[١]، وترُدُّ الغائبَ إذا نَذَرَ لها. وهذا شركٌ ومُحادَّةٌ لله ورسوله[٢].

تزيينُ الشيطان للعامة

وقال أبو محمدٍ، عبدُ الرحمن بن إسماعيل الشافعي، المعروف بأبي شامة[٣]- في كتاب البدع والحوادث-: ومن هذا القسم أيضا: ما قد عمَّ الابتلاءُ به، من تزيينِ الشيطان للعامة تخليقُ الحيطان[٤] والعُمُد، وسَرْجُ مواضعَ مخصوصة، يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحدًا ممن شهر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك، ويحافظون عليه، مع تضييعهم فرائض اللَّه وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك[٥].

ثم يتجاوزون هذا، إلى أن يُعظِّمَ وَقْعُ تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها[٦]، ويرجون الشفاء[٧] لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي من بين عيونٍ وشجرٍ وحائطٍ!!.

(١) (ع) (ط): المرضى.

(٢) «تنبيه الغافلين» للنحاس / ٤٠٣.

(٣) حافظ أصولي، وداعية إلى السنة. ت ٦٦٥. «شذرات الذهب» ٥/ ٣١٨.

(٤) خلَّقه تخليقًا: طيبه فتخلق به. ترتيب القاموس ٢/ ١٠٠.

(٥) ما بينهما معلق في هامش الأصل، وبجواره كلمة صح.

(٦) (ع) (ط): فيعظمونها: ساقطة.

(٧) (ع) (ط): الشفاعة.

الشَّجرةُ الملعونةُ في دمشق

وفي مدينة دمشق -صانها اللَّه- من ذلك مواضعُ متعددةٌ: كعوينة الحمَّى خارج باب تُوْمَا، والعمودُ المخلَّقُ داخل باب الصغير، والشجرةُ الملعونة اليابسةُ خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق- سهل اللَّه قطعها واجتثاثَها من أصلها- فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث - وذكر الحديث -.

ثم قال: قال أبو بكر الطرطوشي[١]: فانظروا رحمكم اللَّه. أينما وجدتم: سِدرةً أو شجرةً يقصدها الناسُ، ويعظِّمونها، ويرجون البُرءَ والشفاء من قِبَلها، وينوطون[٢] بها المسامير والخِرَقَ: فهي ذاتُ أنواطٍ [١٤/ب] فاقطعوها.

عين العافية بإفريقيا

ثم قال[٣]: ولقد أعجبني ما صنعه الشيخ أبو إسحاق الجبيناني[٤] رَحِمَهُ اللَّهُ - أحدُ الصالحين ببلاد إفريقية في المائة الرابعة -: حكى عنه صاحبُه الصالح أبو عبد اللَّه محمد بن أبي العباس المؤدَّب: أنه كان إلى جانبه عينٌ

---

(١) محمد بن الوليد بن محمد بن خلف، تلميذ أبي الوليد الباجي الإمام الكبير، حافظ فقيه، نقي المشرب. ت٥٢٠ «سير أعلام النبلاء» ١٩/ ٤٩٠.

(٢) في جميع النسخ: يضربون. والمثبت من كتاب «الحوادث والبدع للطرطوشي» / ٣٧.

(٣) أبو شامة رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) إبراهيم بن أحمد بن علي بن مسلم، البكري الوائلي. ت٣٦٩ «الديباج المذهب» ١/ ٢٦٤.

تسمى عينُ العافية، كان العامة قد افتتنوا بها، يأتونها من الآفاق، من تعذَّرَ عليها نكاحٌ أو ولدٌ قالت: امضوا بي إلى العافية، فتُعرفُ بها الفتنة.

قال أبو عبد اللَّه: فأنا في السحر ذاتَ ليلةٍ، إذ سمعت أذان أبي إسحاق نحوها، فخرجت فوجدته قد هدمها، وأذَّن الصبح عليها! . ثم قال: «اللهم إني هدمتُها لك فلا ترفع لها رأسًا»، فما رُفع لها رأسٌ إلى الآن. انتهى[١].

وكان الإمام أبو محمد بن أبي زيد[٢] يعظِّم شأنَ أبي إسحاق هذا، ويقول: طريقة أبي إسحاق خاليةٌ لا يسلكها أحدٌ في الوقت[٣].

وقالِ الشيخ صنعُ اللَّه الحنفي - في كتابه الذي ألفه في الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفات[٤] في الحياة وبعد الممات، على سبيل الكرامة -: هذا وإنه قد ظهر الآنَ - فيما بين المسلمين - جماعاتٌ يدَّعون أن للأولياء تصرُّفًا في حياتهم وبعد الممات، ويُستغاثُ بهم في الشدائد والبَليَّات.

وبهم تُكشف المُهمات. فيأتون قبورَهم وينادونهم في قضاء الحاجات؛ مستدلين على أن ذلك منهم كراماتٌ.

وقالوا: منهم أبدالٌ ونُقباء وأوتادٌ ونُجباء، وسَبعُون وسبعة وأربعون

(١) «الباعث على إنكار البدع والحوادث» لأبي شامة/ ٢٣-٢٤.

(٢) الأصل: بن زيد (ط) بن أبي زيد. تحريف. وهو عبد اللَّه بن عبد الرحمن النفزي، حافظ فقيه، ورع، ت٣٨٦ «المدارك» ٢/ ٤٩٢.

(٣) نقله القاضي عياض في «المدارك» ٢/ ٥٠٠.

(٤) (ع) (ط): تصرفا.

وأربعة، والقطبُ هو الغوثُ للناس وعليه المَدارُ بلا التباس!!

وجوَّزوا لهم الذبائحَ والنذورَ، وأثبتوا لهم فيهما الأجور!

التفريط والإفراط

قال: وهذا كلام فيه تفريطٌ وإفراطٌ، بل فيه الهلاكُ الأبدي والعذاب السرمدي؛ لما فيه من روائح الشرك المحقَّق، ومضادَّة الكتابِ العزيز المصدَّق، ومخالفٌ لعقائد الأئمة، ما اجتمعت عليه الأمة. وفي التنزيل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[1].

إلى أن قال: الفصل الأول: فيما انتحلوه من الإفك الوَخِيم، والشرك العظيم.

دعوى التصرف بعد الممات

إلى أن قال: فأما قولُهم: إن للأولياء تصرفًا في حياتهم وبعد الممات، فيرده قول الله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾[2]، ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾[3]، ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[4] ونحوه[5] من الآيات الدالة على أنه المنفردُ

---

(١) سورة النساء: آية ١١٥.

(٢) سورة النحل: الآيات ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤.

(٣) سورة الأعراف: آية ٥٤.

(٤) سورة الشورى: آية٤٩.

(٥) (ع) (ط): ونحو ذلك.

بالخلق والتدبير [١٥/أ] والتصرفِ والتقدير، ولا شيء لغيره في شيءٍ ما بوجه من الوجوه. والكلُّ تحت ملكه وقهره: تصرفًا وملكًا، وإحياءً وإماتة، وخَلقا. وتمدَّح الربُّ سبحانه بانفراده في ملكه بآيات من كتابه كقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾[١]، و﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[٢] وذكر آيات في هذا المعنى.

ثم قال: فقوله في الآيات كلها: من دونه. أي[٣]: من غيره، فإنه عامٌّ يدخل فيه من اعتقدته من وليٍّ[٤] وشيطانٍ تستمده؛ فإن لم[٥] يقدر على نصر نفسه كيف يمدُّ غيره؟!

إلى أن قال: فكيف يُتصوَّر لغيره- من ممكن- أن يتصرف؟!

إنَّ هذا من السفاهة لقولٌ وخيمٌ، وشركٌ عظيمٌ.

إلى أن قال: وأما القول بالتصرف بعد الممات: فهو أقبح[٦] وأشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة، قال -جل ذكره-: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٧]، ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا

(١) سورة فاطر: الآية ٣.
(٢) سورة فاطر: آية ١٣.
(٣) (ع) (ط): أي. ساقطة.
(٤) (ع) ولي ونبي.
(٥) (ع) (ط): من لم.
(٦) (ع) (ط): أقبح. ساقطة.
(٧) سورة الزمر: آية ٣٠.

﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾[(١)]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[(٢)]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[(٣)].

وفي الحديث: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**»[(٤)] الحديث. فجميع ذلك وما هو نحوه، دالٌّ على انقطاع الحس والحركة من الميت، وأن أرواحهم مُمسَكة، وأن أعمالهم منقطِعة عن زيادة ونقصان.

فدلَّ ذلك: أن[(٥)] ليس للميت تصرفٌ في ذاته - فضلًا عن غيره - بحركةٍ، وأن روحَه محبوسةٌ مرهونةٌ بعملها من خير وشر، فإذا عجز عن حركته لنفسه فكيف يتصرف لغيره؟.

فاللَّه سبحانه: يخبر أن الأرواح عنده، وهؤلاء الملحدون يقولون: إن الأرواح مطلقة متصرفة! قل أأنتم أعلم أم اللَّه؟.

ضابطُ الكرامة

قال: وأما اعتقادُهم أن هذه التصرفاتِ لهم من الكرامات: فهو من المغالطة؛ لأن الكرامة شيء من عند اللَّه، يُكرم بها أولياءَه، لا قصد لهم فيه ولا تَحَدٍّ، ولا قدرةَ ولا علم، كما في قصة مريم ابنة عمران، وأُسيد بن

(١) سورة الزمر: آية ٤٢.

(٢) سورة الأنبياء: آية ٣٥.

(٣) سورة المدثر: آية ٣٨.

(٤) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم ١٦٣١، من حديث أبي هريرة.

(٥) (ع) (ط): أنه.

حُضير[١]، وأبي مسلم الخولاني[٢].

قال: وأما قولهم: ويُستغاث بهم في الشدائد. فهذا أقبح مما قبله وأبدع؛ لمضادة قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾[٣]، ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[٤] وذكر آيات في هذا المعنى.

اللَّه هو الكاشف للضر لا غيرُه

ثم قال: فإنه -جلَّ ذِكره-: قرر أنه الكاشف للضر لا غيره، وأنه المتعيَّنُ لكشف الشدائد [١٥/ب] والكرب، وأنه المتفرِّد[٥] بإجابة

(١) أبو يحيى بن سماك بن عتيق الأنصاري الأشهلي، صحابي جليل، مات سنة عشرين، وكان من خبره رضي الله عنه، أنه سمر ذات ليلة هو وعباد بن بشر عند رسول اللَّه ﷺ فتحدثا معه، ثم خرجا فأضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا في ضوئها، فلما تفرق بهما الطريق أضاءت لكل واحد عصاه.أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٦٠٦، وأحمد في «المسند» ٣/ ١٣٨، ١٩٠، ٢٧٢، والحاكم في «المستدرك» ٣/ ٢٨٨، والبيهقي في «الدلائل» ٦/ ٧٧، والبخاري في «الصحيح» رقم ٣٨٠٥ تعليقًا من حديث أنس.

(٢) عبد اللَّه بن أثوب الشامي، ثقة عابد زاهد، ت في زمن ابن معاوية السفياني، من كراماته: نجاته من النار التي أججها الطاغية الكذاب، الأسود العنسي، ثم ألقاه فيها. قال عنه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الحمد لله الذي لم يمتني من الدنيا، حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن عليه السلام. أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ١٢٩.

(٣) سورة النمل: آية ٦٢.

(٤) سورة الأنعام: آية ٦٣.

(٥) (ع): المنفرد.

المضطرين، وأنه المستغاثُ لذلك كلِّه، وأنه القادرُ على دفع الضَّيْرِ[١] وعلى إيصال الخير، فهو المُنفرد بذلك. فإذا تعين -جل ذكرُه-، خرج غيرُه[٢] من مَلَكٍ ونبيٍّ ووليٍّ.

متى تجوز الاستغاثة بغير الله؟

قال: والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية، من الأمور الحسية: في قتال، أو إدراكِ عدوٍّ أو سَبُعٍ ونحوه. كقولهم: يالَزَيدٍ، يالقومي ياللمسلمين؛ كما ذكروا في كتب النحو[٣]، بحسب الأسباب الظاهرة بالفعل.

وأما الاستغاثةُ بالقوةِ والتأثيرِ، أو في الأمور المعنوية من الشدائد: كالمرض وخوف الغرق والضِّيق، والفقر وطلب الرزق، ونحوه. فمن خصائص اللَّه، فلا يُطلب فيها غيره.

قال: وأما كونُهم معتقدين التأثيرَ منهم في قضاء حاجاتهم؛ كما تفعلُه الجاهلية[٤] العرب، والصوفيةُ الجُهال، وينادونهم ويستنجدون بهم: فهذا من المنكرات.

---

(١) (ط): الضر.

(٢) (ط): عن غيره

(٣) ينظر «شرح عمدة الحافظ» لابن مالك/ ٢٨٦.

(٤) (ط): جاهلية.

الجهل الخطير وحفرةُ السعير

إلى أن قال: فمن اعتقد أن لغير اللّه - من نبيٍّ أو وليٍّ أو روحٍ أو غير ذلك- في كشف كربةٍ أو قضاءِ حاجةٍ تأثيرًا. فقد وقع في وادي جهلٍ خطير، فهو على شفا حُفرةٍ من السعيرِ.

وأما كونُهم مستدلين على أن ذلك منهم كراماتٍ: فحاشا أولياءَ اللّه أن يكونوا بهذه المثابة، فهذا ظنُّ أهل الأوثان كذا أخبر[1] الرحمن ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[2]، ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[3]، ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾[4].

فإنَّ[5] ذِكْرَ ما ليس من شأنه النفعُ ولا دفعُ الضُّرِّ من نبيٍّ ووليٍّ وغيرِه، على وجه الإمداد منه. إشراكٌ[6] مع اللّه؛ إذ لا قادرَ على الدَّفعِ[7] غيرُه ولا خيرَ إلا خيرُه.

---

(١) (ع): أخبر عنهم.
(٢) سورة يونس: آية ١٨.
(٣) سورة الزمر: آية ٣.
(٤) سورة يس: آية ٢٣.
(٥) (ع): أي فإن.
(٦) (ط): أشرك.
(٧) (ع) (ط): النفع.

الأبدال والنقباء والأربعة والأربعين

وأما ما قالوه: إن فيهم أبدالاً ونُقَباءَ، وأوتادًا ونُجَباءَ، وسبعين وسبعة، وأربعين وأربعة، والقُطب هو الغوث للنَّاس.

فهذا من موضوعات إفكهم؛ كما ذكره القاضي المحدِّثُ ابن العربي[1] في: «سراج المريدين»، وابن الجوزي، وابن تيمية. انتهى باختصار[2].

وكلامُ العلماء في ذلك كثيرٌ، واكتفينا بما ذكرنا.

فصل
سد باب الفتنة مقصدٌ شرعي

وتقدم في كلام الشيخ، الإشارةُ إلى أنه: لولا أنه يَخشى من الفتنة بالقبورِ، لما نُهي عن الصلاة عندها، وغير ذلك.

وتأكَّدت الفتنةُ بقضاء بعض حوائج قاصدِيها والمشركين بها، وذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من ذلك أشياءَ كثيرةً ذكرها في: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء [١٦/أ] الشيطان»[3]، وغيرِه من كُتبه.

---

(١) أبو بكر، محمد بن عبد اللّه المعافري الأندلسي، حافظ فقيه مفسر، ت٥٤٣ «تذكرة الحفاظ» ٤/ ١٢٩٤.

(٢) صنع اللّه الحنفي، «سيف اللّه على من كذب على أولياء الله»؛ الورقات: ٢، ٥ - ٨، ١١.

(٣) مطبوع متداول، ورأيت له نسخة خطية جيدة بقلم الشيخ محمد بن حمد بن راشد بن عساكر. كتبت سنة ١٢٨٧هـ.

مخاطبة الشياطين لمن يدعوهم

قال: والشيطان يُضل بني آدم بحسب قُدرته، فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها، كما يفعله[١] أهلُ دعوى[٢] الكواكب. فإنه ينزل عليه شيطانٌ يخاطبه[٣] ويحدِّثه[٤] ببعض الأمور، يسمون ذلك روحانيات الكواكب. وهو شيطان.

وكذلك عُبَّادُ الأصنامِ: قد تخاطبُهم الشياطينُ، وكذلك من استغاث بميتٍ أو غائبٍ، وكذلك من دعا الميتَ، أو دعا عنده وظنَّ[٥] أن الدعاء عند قبره أفضلُ منه في البيوتِ[٦] والمساجد.

تخييلاتُ الشياطين

وللنصارى والضُلَّالِ من المسلمين أحوالٌ عند المشاهد يظنونها كراماتٍ، وهي من الشيطان: مثل أن يضعوا سراويلَ عند القبر، فيجدونه قد عُقِدَ. أو يُوضع عنده مصروعٌ فيبصرون شيطانَه قد فارقه، فيفعل هذا الشيطان؛ ليضلهم. ومثل أن يرى أحدُهم أن القبر قد انشقَّ، فيَخرج منه إنسانٌ، فيظنُّه الميتَ[٧].

---

(١) (ع) (ط): يفعل.

(٢) (ع): دعاء. وفي «الفرقان»: دعوة.

(٣) (ع) (ط): ويخاطبه.

(٤) (ع): ويخبره.

(٥) في «الفرقان»: أو دعا به أو ظن.

(٦) (ط) من البيوت.

(٧) ابن تيمية، «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»/ ١٣١، ١٤٢.

ومن هؤلاء: من يستغيث[١] بمخلوقٍ حيٍّ أو ميتٍ، سواء كان ذلك الحي مسلمًا أو نصرانيًّا أو مشركًا.

فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به، ويقضي بعضَ حاجة ذلك المستغيث. فيظن أنه ذلك الشخص، أو أنه ملَكٌ على صورته، وإنما هو شيطانٌ أضلَّه؛ لمَّا أشرك بالله، كما كانت الشياطين تدخل الأصنامَ وتكلمُ المشركين.

ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له: أنا الخَضِر! وربما أخبره ببعض الأمور، وأعانه على بعض مطالبه.

ومنهم من يطير به الجني إلى مكة أو بيت المقدس أو غيرهما، ومنهم من يحمله عشيةَ عرفة ثم يعيده من ليلته[٢].

ومنهم من كان يُؤتى بمال مسروق تسرقُه الشياطين وتأتيه به، ومنهم من كانت تدلُّه على السرقات[٣].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حتى إني أعرف من هؤلاء جماعاتٍ، يأتون إلى الشيخ نفسه الذي استغاثوا به - وقد رأوه أتاهم في الهواء- فيذكرون ذلك له[٤].

وهؤلاء يأتون إلى هذا الشيخ: فتارة يكون الشيخُ نفسُه لم يعلم بتلك

---

(١) في جميع النسخ: يستعين. والمثبت من «الفرقان».

(٢) ابن تيمية، «الفرقان» / ١٣٥.

(٣) المصدر السابق/ ٨٧.

(٤) (ط): له. ساقطة.

القضية. فإن كان يحب الرياسة سكتَ، وأوهمهم أنه نفسه أتاهم وأعانهم.
وإن كان فيه صدقٌ مع جهل وضلال، قال: هذا مَلَكٌ صوره اللَّه على صورتي! وجعل هذا من كرامات الصالحين، وجعله عمدةً لمن يستغيث بالصالحين ويتخذهم أربابًا؛ وأنهم إذا استغاثوا بهم بعث اللَّه ملائكته [١٦/ب] على صورهم تُغيث المستغيثين بهم.

ولهذا: أعرف غيرَ واحدٍ منهم ممن فيه صدقٌ وزُهدٌ وعبادةٌ، لمَّا ظنوا أن هذا من كرامات الصالحين، صار أحدُهم يوصي مريديه[١]، يقول: إذا كانت لأحدكم حاجة فليستغثْ[٢] بي وليستنجدني!!

ويقول: أنا أفعل بعد موتي ما كنت أفعل في حياتي! وهو لا يعرف أن تلك شياطين تُصوَّر[٣] على صورته؛ لتُضله، وتُضل أتباعه. فيُحسِّن لهم الإشراك باللَّه ودعاءَ غير اللَّه، والاستغاثةَ[٤] بغير اللَّه.

وأنها قد تُلقي في قلبه: أَنَّا نفعل بأصحابك بعد موتك، ما كنا نفعل بهم في حياتك.

فيظنُّ هذا: من خطابٍ إلهي أُلقي إليه، فيأمر أصحابه بذلك- وذكر أشياء كثيرة من هذا الجنس وأعظم منه -.

---

(١) أتباعه والمفتونون به.

(٢) الأصل: فليستغيث. تحريف.

(٣) (ط): تتصور.

(٤) (ع) (ط): والاستعانة.

موقف المسلم من ذلك

والمقصودُ: أن الإنسان إذا سمع بوقوعِ مثل ذلك: لا يستعبد به[١] ولا يغتر به[٢]؛ إذا عرف أن مثل هذه الأمور، تقع لعُبَّادِ الأصنام والقبور. والأمر كله لله: ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن[٣].

فصل

ما يتعين على من نصح نفسه

يتعينُ على من نصح نفسه، وعلم أنه مسئولٌ عما قال وفعل[٤]، ومُحاسَبٌ على اعتقاده وقوله وفعله: أن يُعِدَّ لذلك جوابًا، ويخلع ثوبَيْ الجهل والتعصب، ويُخلصَ القصدَ في طلب الحق، قال اللّه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾[٥].

وليعلمْ: أنه لا يخلِّصُه إلا اتباعُ كتاب اللّه وسنةِ نبيه، قال اللّه تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[٦] وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٧].

---

(١) (ع): يستعبده.

(٢) (ط): لا يستبعده ولا يستغتربه. تحريف.

(٣) ينظر؛ ابن تيمية، مجموع الفتاوي: ١/ ١٦٨، ٣٦٠، ١٩/ ٤٧

(٤) (ط): وفعل. ساقطة.

(٥) سورة سبأ: آية ٤٦.

(٦) سورة الأعراف: آية ٣.

(٧) سورة ص: آية ٢٩.

العلاج للنزاع والاختلاف

ولما كان قد سبق في علمِ اللَّه وقضائه: أنه سيقع الاختلافُ بين الأمة. أمرهم وأوجب عليهم عند التنازع، الردُّ إلى كتابه وسنة نبيهِ، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[١].

قال العلماء: الردُّ إلى الله: الردُّ إلى كتابه. والردُّ إلى رسوله[٢]: الردُّ إليه في حياته، والردُّ إلى سنته بعد وفاته[٣][٤].

ودلت الآية: أن من لم يردّ عند التنازع إلى كتابِ اللَّه وسنة نبيه. فليس بمؤمن؛ لقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ فهذا شرط ينتفي المشروط بانتفائه.

ومحالٌ أن يأمر اللهُ الناسَ بالردِّ إلى ما لا [١٧/أ] يفصِلُ النزاعَ، لاسيما في أصول الدين: التي لا يجوز فيها التقليدُ عند عامة العلماء.

وقال اللَّه تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾[٥].

---

(١) سورة النساء: آية ٥٩.

(٢) (ط): الرسول.

(٣) (ع) (ط): مماته.

(٤) ينظر «تفسير الطبري» ٨/ ٤٩٥-٥٠٤.

(٥) سورة النساء آية ٦٥.

ولما أخبر النبيُّ ﷺ بوقوع الاختلاف الكثير بعده - بيْن أمته-: أمرهم عند وجود الاختلاف بالتمسكِ بسنته، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، فقال ﷺ: «**إنه من يعش منكم سيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»[١].

ولم يأمرنا اللَّه ولا رسولُه: بالرد- عند التنازع والاختلاف- إلى ما عليه أكثر الناس، ولم يقل اللَّه ولا رسوله: لينظُر أهلُ كل زمان إلى ما عليه أكثرُ أهل زمانهم، فيتبعونهم. ولا إلى أهل مصر معين، أو إقليم[٢].

الواجب على الناس

وإنما الواجب على الناس: الردُّ[٣] إلى كتاب اللَّه وسنة نبيه، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وما مضى عليه الصحابةُ والتابعون - لهم بإحسان. فيجب على الإنسان الالتفات إلى كتاب اللَّه وسنة نبيه، وطريقة أصحابه والتابعين -[٤]، وأئمة الإسلام[٥].

(١) قطعة من حديث العرباض بن سارية، أخرجه أبو داود في «السنن» رقم ٤٦٠٧، والترمذي في «الجامع» رقم ٢٦٧٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في «السنن» رقم ٤٢، وأحمد في «المسند» ٤/ ١٢٦، ١٢٧، والحاكم في «المستدرك» ١/ ٩٥، والبيهقي في «الدلائل» ٦/ ٥٤١، وأبو نعيم في «الحلية» ٥/ ٢٢٠، ١٠/ ١١٥، وقال: هو حديث جيد، من صحيح حديث الشاميين. كما في «الجامع» للحافظ ابن رجب / ١٨٧، وصححه الحافظ بن تيمية في «الاقتضاء» ٢/ ٥٧٩.

(٢) (ط): أو إقليم. ساقط.

(٣) (ع): الرد عند التنازع.

(٤) ما بينهما ساقط من (ط) ومعلق في هامش (ع) وبجواره كلمة صح.

(٥) (ط): المسلمين

المتمسكون بالسنة أغرابٌ في بلادهم

ولا يعبأ بكثرة المخالفين بعدهم. فإذا علِم اللهُ من العبد الصدقَ في طلب الحق، تركَ التعصب، ورغب إلى اللّه في سؤاله هداية الصراط المستقيم: فهو جدير بالتوفيق.

فإن على الحقِّ نورًا، لاسيما التوحيدُ: الذي هو أصلُ الأصول، الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو توحيدُ الألوهية؛ فإن أدِلَّتَه وبراهينَه في القرآن ظاهرةٌ، وعامةُ القرآن إنما هو في تقرير هذا الأصل العظيم.

ولا يستوحشُ الإنسانُ لقلة الموافقين، وكثرةِ المخالفين؛ فإن أهلَ الحق أقلُّ الناس فيما مضى، وهم أقلُّ الناس فيما بقي، لاسيما في هذه الأزمنة المتأخرة، التي قد صار الإسلام فيها غريبًا[١].

الحقُّ لا يُعرف بالرجال

والحقُّ لا يعرف بالرجال؛ كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لمن قال له[٢]: أترانا[٣] نرى أن[٤] الزبير وطلحة كانا[٥] مخطئين وأنت المصيب؟!.

---

(١) الأصل: غريب.

(٢) (ط): له.ساقطة.

(٣) (ط): أترى أنا.

(٤) (ع) (ط): أن. ساقطة.

(٥) (ع) (ط): كانا ساقطة.

فقال له علي: ويحك! يا فلان: إن الحق لا يُعرفُ بالرجال. اِعرف الحق تعرف أهله. وأيضا: فالحقُّ ضالةُ المؤمن.

وليَحذر العاقل من مشابهة الذين قال الله عنهم: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾[1]، ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾[2].

جنايةُ الكِبر والترفُّع على الخلق

وقد قال بعضُ السلف: ما ترك أحدٌ حقًّا [١٧/ب] إلا لكِبرٍ في نفسه؛ ومصداق ذلك قول النبي ﷺ، حين قال: «**لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كِبر**»[3] ثم فسر الكبر بأنه: بَطرُ الحق، أي: ردُّه، وغَمْطُ الناس: وهو احتقارُهم وازدراؤُهم.

ولقد أحسن القائل[4]:

وتعرَّ من ثوبين من يلبسهما ... يلقى الردى بمذمةٍ وهوان
ثوبٌ من الجهل المركب[5] فوقه ... ثوب التعصب بئست[6] الثوبان
وتحلَّ بالإنصاف أفخر حليةٍ[7] ... زينت بها الأعطاف والكتفان

---

(١) سورة الأحقاف: آية ١١.
(٢) سورة الأنعام آية ٥٣.
(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم ٩١، من حديث ابن مسعود.
(٤) (ع): القائل حيث قال.
(٥) علق في الأصل ما نصه: الجهل المركب: هو أن يجهل الحق ويجهل جهله به.
(٦) (ط): بئسما.
(٧) (ع) (ط): حلة.

واجعل شعارك خشية الرحمن مع نصح الرسول فحبذا الأمران[١]

[٢] وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

والجهل داء قاتل وشفاؤه أمران في التركيب متفقان

نصٌّ من القرآن أو من سنة وطبيب ذاك العالم الرباني [٣]

تعريفُ الحق

قال[٤] ابن القيم : وما أحسن ما قال الحافظ أبو محمد، عبد الرحمن المعروف بأبي شامة - في كتاب الحوادث والبدع - : حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به[٥] : لزومُ الحق واتباعُه، وإن كان المتمسِّكُ به قليلا ، والمخالفُ له كثيرًا ؛ لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى، من عهدِ النبي ﷺ وأصحابه، ولا نظر[٦] إلى كثرة أهل الباطل بعدهم.

قال عمرو بن ميمون الأَوْدي[٧] : صحِبتُ معاذًا فما فارقته حتى واريتُه في الترابَ بالشام، ثم صحبت بعده أفقه الناس : عبد اللّه بن مسعود،

(١) من كلام ابن القيم في «الكافية» / ١٩.
(٢) ما بينهما ساقط من (ع) و(ط).
(٣) «الكافية الشافية» / ١٨٩.
(٤) (ط) : وقال.
(٥) (ط) : به. ساقطة.
(٦) (ع) (ط) : تنظر.
(٧) أبو عبد اللّه المَذْحِجِيُّ، أسلم في حياة النبي ﷺ، عابدٌ حجة. ت ٧٥ «السير» ٤/ ١٥٨.

فسمعته يقول : عليكم بالجماعة ؛ فإنَّ يدَ اللَّه على الجماعة . ثم سمعتُه يوما من الأيام وهو يقول : سَيَلِي عليكم ولاةٌ يؤخرون الصلاة عن مواقيتها : فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة ، وصلوا معهم فإنها لكم نافلة .

قال : قلتُ : يا أصحابَ محمد! ما أدري ما تحدثون؟ . قال : وما ذاك[١] ؟ قلت : تأمرني بالجماعة ، وتحضُّني[٢] عليها ، ثم تقول : صلِّ الصلاة[٣] وحدك! وهي الفريضة ، وصلِّ الجماعة[٤] وهي لك نافلة[٥] .

قال : يا عمرو بن ميمون ، قد كنتُ أظن أنك من أفقه أهل هذه القرية . تدري[٦] ما الجماعة ؟ قلت : لا !!

الجماعةُ ما وافق الحق

قال : إنَّ جمهورَ الجماعة : الذين فارقوا[٧] الجماعة ! الجماعة : ما وافق الحق ، وإن كنت وحدك .

وفي طريقٍ آخر[٨] : فضرب على فخذِي ، وقال : ويحك! إن جمهور

---

(١) الأصل ، و(ط) : وماذا.

(٢) (ع) : وتحثني.

(٣) (ع) : الصلاة. ساقطة.

(٤) (ع) (ط) : مع الجماعة.

(٥) (ع) (ط) : وهي النافلة.

(٦) (ط) : أتدري.

(٧) (ط) : جمهور الناس قد فارقوا.

(٨) (ع) (ط) : أخرى.

الناس فارقوا الجماعة[١]، وإن الجماعة: ما وافق طاعة الله ﷻ[٢].

قال نُعيم[٣] بن حمَّاد[٤] [١٨/أ]: يعني إذا فسدت الجماعةُ، فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن يفسدوا، وإن كنتَ وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذٍ. ذكره البيهقي[٥] وغيره.

الحسن البصري وأهل زمانه

وروى مباركُ بن فُضَالة[٦] عن الحسن البصري، قال: لو أن رجلًا أدركَ السلفَ الأول، ثم بُعث اليومَ. ما عرف من الإسلام شيئًا - قال: ووضع يده على خده - ثم قال: إلا هذه الصلاة.

القلب الذي يحن إلى السلف

ثم قال: أما - واللهُ على ذلك[٧] - لمن عاش في هذه النكراء، أو[٨]

---

(١) (ط): قد فارقوا.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» ٥/ ٢٣١ بغير هذا اللفظ، وأبو داود في «السنن» رقم ٤٣٢.

(٣) الأصل و(ط): عن. تحريف.

(٤) أبو عبد الله بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، نزيل مصر، صدوق يخطئ كثيرًا، فقيه عارف بالفرائض.ت٢٢٨ «تقريب»/ ٥٦٤.

(٥) في كتاب «المدخل» كما في «الباعث على إنكار البدع والحوادث» / ١٩-٢٠.

(٦) أبو فضالة البصري، صدوق يدلس ويسوي، صحب الحسن ثلاث عشرة سنة ت١٦٦ «تقريب»/ ٥١٩.

(٧) (ع) (ط): على ذلك. ساقط، وفي «البدع»: ما ذلك.

(٨) (ع) (ط): و.

لم يُدرك هذا السلف الصالح، فرأى مبتدعًا يدعو إلى بدعته، ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه، فعصمه اللَّه من ذلك، وجعل قلبه يحن إلى ذلك السلف الصالح. يسأل عن سبيلهم، ويقتصُّ آثارهم، ويتتبع[١] سبيلهم. ليعوَّضُ أجرًا عظيمًا، فكذلك فكونوا[٢] إن شاء الله[٣].

استضاءة الدين

وروى محمدُ بن وضاح[٤]، عن أبي الطُّفيل[٥]: أن حذيفة بن اليمان، أخذ حصاة بيضاء، فوضعها في كفه، ثم قال: إن هذا الدين قد استضاء إضاءة هذه الحصاة. ثم أخذ كفًّا من تراب، فجعل يذرُّه على الحصاة حتى واراها، ثم قال: والذي نفسي بيده، ليجيئنَّ أقوام يدفنون الدين[٦] هكذا[٧]، كما دفنتُ هذه الحصاة، ولتسلُكُنَّ طريق الذين كانوا قبلكم حذو القذة بالقذة وحذو النعل بالنعل[٨].

قال محمد بن وضاح: الخير بعد الأنبياء ينقص، والشر يزيد.

---

(١) (ع) (ط): ويتبع.

(٢) (ط): كونوا.

(٣) أخرجه ابن وضاح في «البدع» / ٦٧.

(٤) أبو عبد اللَّه بن بزيع، مولى عبد الرحمن بن معاوية، الحافظ الأندلسي القرطبي، الزاهد العابد. ت٢٨٦ «لسان الميزان» ٥/ ٤١٦.

(٥) عامر بن واثلة بن عبد اللَّه الليثي. ت١١٠ «تقريب» / ٢٨٨.

(٦) (ط): هذا الدين.

(٧) (ط): هكذا. ساقطة.

(٨) أخرجه ابن وضاح في «البدع»/ ٥٨.

هلاك بني إسرائيل

قال ابن وضاح: إنما هلكت بنو إسرائيل، على يدي[١] قُرَّائهم وفقهائهم[٢].

لو خرج رسول اللَّه ﷺ على الناس ؟

وروى ابن وضاح، عن عيسى بن يونس[٣]، عن الأوزاعي[٤]، عن حِبان[٥] بن أبي جَبَلَة[٦]، عن أبي الدرداء قال: لو خرج رسول اللَّه ﷺ عليكم اليوم[٧]، ما عرف شيئًا مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة !

قال الأوزاعي: فكيف لو كان اليوم!

قال عيسى بن يونس: فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان[٨]!!

---

(١) (ط): أيدي.

(٢) البدع/ ٥٩.

(٣) ابن أبي إسحاق السبيعي، نزل الشام مرابطا، ثقة مأمون. ت١٨٧ «تقريب»/ ٤٤١.

(٤) أبو عمر، عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي، الفقيه، ثقة جليل، ت١٥٧ «تقريب»/ ٣٤٧.

(٥) في جميع النسخ: حسان، تصحيف، والمثبت من «البدع».

(٦) المصري، مولى قريش، ثقة، ت١٢٢ «تقريب» / ١٤٩.

(٧) (ع): اليكم اليوم، و(ط): إليكم.

(٨) «البدع » / ٦١.

الغنم التي رعت حَمْضًا

وروى ابن وضاح، عن الأعمش[1] قال: قال لي شقيق أبو وائل[2]: يا سليمان[3]! ما شبَّهتُ قراء زمانك إلا بغنم رعت حَمْضًا[4]، فمن رآها ظن أنها سمينة، وإذا ذبحها لم يجد فيها شاة سمينة[5].

وروى ابن وضاح، عن أبي الدرداء، قال: لو أن رجلًا تعلم الإسلام وأتمه[6]، ثم تفقده ما عرف منه شيئًا[7].

الموتُ اليوم كرامةٌ للمسلم

وروى ابن وضاح، عن عبد اللَّه بن المبارك، قال: اعلم - أي أخي[8] -

(١) في جميع النسخ: الأوزاعي. تصحيف، والمثبت من «البدع» وهو أبو محمد، سليمان ابن مهران الأسدي الكاهلي، ثقة حافظ، عارف بالقراءات ورع، لكنه يدلس. ت١٤٧ «تقريب» / ٢٥٤

(٢) ابن سلمة الأسدي، مخضرم أدرك النبي ﷺ ولم يره. ت٨٢ «سير أعلام النبلاء» ٤/ ١٦١.

(٣) (ع): يا أبا سليمان، وفي «البدع»: أنا سليمان. تحريف.

(٤) ما كان سوى (أحرار النقل) و(ذكوره) و(عَرفَجِهِ) فهو حَمضٌ، وهو من العشب عند الإبل بمنزلة اللحم، وإذا أكلت الحموض: اندلقت بطونها، وأسرعت السقوط. «النبات» للأصمعي/ ١٧.

(٥) «البدع» / ٨٢.

(٦) في «البدع»: وأهمه.

(٧) «البدع» / ٦٨.

(٨) في «البدع»: أني أرى.

أن الموتَ اليوم[١] كرامةٌ لكل مسلم لَقيَ اللهَ على السنةِ، فإنا لله وإنا إليه راجعون!. [١٨/ب] فإلى الله نشكو وحشتنا، وذهاب الإخوان، وقلة الأعوان، وظهور البدع. وإلى الله نشكو عظيم ما حل بهذه الأمة: من ذهاب العلماء وأهل السنة، وظهور البدع. انتهى[٢].

فكيف لو رأى من تقدَّمَ ذِكرُهم هذه الأزمنةَ. التي ظهر فيها الشركُ الأكبر والأصغر، والبدعُ التي لا تُعدُّ ولا تُحصى: في الاعتقادات والأقوال والأعمال.

وظهرت جميعُ الفواحش في أكثر أمصار المسلمين، وضُيِّعت الصلوات واتُّبِعت الشهوات، وظهر مصداق قول حذيفة: ليجيئن أقوام يدفنون الدين كما دُفنت هذه الحصاة.

وأبلغ من ذلك قول النبي ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة**، قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: **فمن!**»[٣].

وقال: «**لتأخُذَنَّ هذه الأمة مأخذَ الأممِ قبلها، شبرًا بشبر وذراعًا بذراع**. قالوا: فارس والروم؟ قال: **فمن الناس إلا أولئك**»[٤].

وظهر مصداق قول النبي ﷺ[٥]: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما**

---

(١) (ط): اليوم. ساقطة.

(٢) «البدع» / ٣٩.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» ١٠/ ١٢١ من حديث أبي هريرة. قال: الحافظ ابن كثير في «التفسير» ٢/ ٣٦٨: وهذا الحديث له شاهد في الصحيح.

(٥) (ع) (ط): النبي ﷺ حقيقة.

بدأ فطوبى للغرباء»[١].

مشابهة اليهود

واعْتبِر هذا، بما عاب به سبحانه اليهود من تبديلهم رجم الثَّيِّب الزاني بالجلد والتحميم، فقال سبحانه في شأنهم: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾[٢].

يقولون[٣]: إن أفتاكم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا، وإن أفتاكم بالرجم فلا تقبلوا[٤].

وقال سبحانه عنهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٥].

وقال النبي ﷺ - لما رجم الزاني -: «**اللهم إنِّي أولُ من أحيى أمرك إذْ أماتوه**»[٦].

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم ١٤٥، وأحمد في «المسند» ٢/ ٣٨٩، من حديث أبي هريرة، وروي من طرق أخرى. ينظر «فصل الجواب» للشيخ حسن بن حسين/ ١٥ (مجلة البحوث الإسلامية) وما بعدها بتحقيقي.

(٢) سورة المائدة آية ٤١.

(٣) (ع) (ط): يقولون. ساقطة.

(٤) ينظر الطبري ١٠/ ٣١٣.

(٥) سورة المائدة آية ٤١.

(٦) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم ١٧٠٠، وأحمد في «المسند» ٤/ ٢٨٦، من حديث البراء بن عازب.

فكيف حال الذين عطلوا الحدود بالكلية.

فرض الرسوم على البغايا

ثم زاد الشرُّ، إلى أن آل الأمرُ ببعض الولاة: أنهم يضربون على البغايا الخراج!!.

انتهاك الأمراء حدود اللَّه من أجل مصالحهم

وتعدَّوا حدود[1] اللهِ في السارق بالصلب والقتل؛ صيانة لأموالهم، ولم يعبأوا بانتهاك حُرمات مولاهم، فإنا لله وإليه راجعون.

ولْيَجتهد المسلمُ في تحقيق العلم والإيمان.

وليتَّخذ اللَّه هاديًا ونصيرًا، وحاكمًا[2] ووليًّا؛ فإنه نعم المولى ونعم النصير: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[3].

وينبغي أن يُكثر الدعاءَ بما رواه مسلم وغيرُه، عن عائشة رضي اللَّه عنها: أن النبي ﷺ كان إذا قام يصلي[4] من الليل، يقول: «**اللهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السموات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني** [١٩/أ] **لما اختُلف فيه من الحقِّ بإذنك، إنك تهدي من تشاءُ إلى صراطٍ**

---

(١) (ع) (ط): حد.

(٢) (ع): وحكما.

(٣) سورة الفرقان: آية ٣١.

(٤) (ع) (ط): يصلي. ساقطة.

مستقيم»[١]. آخره[٢].

والحمد لله رب العالمين[٣]، وصلى اللّٰه على أشرف المرسلين: سيدنا[٤] محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين[٥].

* * *

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم ٧٧٠، وأحمد في «المسند» ٦/ ١٥٦.

(٢) (ط): آخره واللّٰه أعلم.

(٣) (ع): رب العالمين كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وعظيم سلطانه.

(٤) (ع): وصلى اللّٰه وسلم على سيدنا (ط): والصلاة والسلام على.

(٥) (ع) أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الفهارس

فهرس الآيات الكريمة

* * *

فهرس الأحاديث المسندة

* * *

فهرس الآثار

* * *

فهرس الشعر

❊ ❊ ❊

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
المؤلف	١١
الغاية من الخلق	٢٥
معنى العبادة	٢٦
أول ما دعا إليه الرسلُ	٢٦
معنى الطاغوت	٢٦
معنى لا إله إلا الله	٢٧
معنى لفظ الجلالة	٢٨
مقتضيات كلمةِ التوحيد	٣٠
موقفُ المشركين من كلمة التوحيد	٣١
فَرضِيَّةُ العلمِ بمعناها	٣٢
أولُ واجبٍ على الإنسان	٣٣
اعتراض	٣٤
الجواب	٣٤
التقليدُ في التوحيد	٣٤
متى يصيرُ الإنسانُ مسلمًا	٣٥
موقفُ المشركين من توحيدِ الربوبية	٣٥
حقيقة العبادة	٣٨

الفهارس

* * *